

القسم الأول

الأدلة على أن أم النبي ﷺ
ليست في النار بل هي موحدة

دراسة علمية موضوعية لأحاديث الزيارة والإحياء
تدور حول ما يأتي:

- ١ - كونها مُتَحَنِّفَةٌ .
- ٢ - إحيائها حتى آمنت .
- ٣ - كونها من أهل الفترة .
- ٤ - ما ثبت في الصحيحين متعلقا بإعتاق أبي لباب الجارية .
- ٥ - ما رواه ابن الجوزي مما أخبر به جبريل النبي ﷺ .

بيان المستند لما أفتى به

الإمام السيوطي
وإظهار الفوائد الكامنة في إسلام آمنة

قال ابن شاهين في كتابه : « الناسخ والمنسوخ » (١) :

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار ، ثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة ، ثنا أبو غزّية محمد بن يحيى الزهري ، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها :

(١) عمر بن أحمد بن شاهين البغدادي : واعظ علامة ، من حفاظ الحديث ، له نحو من ثلثائة مصنف ، توفي سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م (الأعلام ١٩٦/٥) .

وعلم « ناسخ الحديث ومنسوخه » يقوم على بحث الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها ، ويبحث عن المتقدم منها ، والمتأخر ، فما ثبت تقدمه يقال له : « منسوخ » ، وما ثبت تأخره يقال له : « ناسخ » .

ويقول الطلبة : إن معرفة الناسخ من المنسوخ قد تكون بنص من الشارع مثل قوله ﷺ : « نهتكم عن زيارة القبور - فقد أذن محمد في زيارة قبر أمه - فروروا بها » فلانها تذكروا الآخرة ، رواه مسلم والترمذي وصححه .

وقد يعرف الناسخ بأن ينص عليه صحاب ، كذلك يعرف الناسخ بالتاريخ والسيرة كأن يحدد الوقت الذي ورد فيه كل من الحديثين المتعارضين .

ويبدو أن علم ناسخ الحديث ومنسوخه مرتقى صعب ، لا يناله إلا الأثبات من العلماء فقد روى عن ابن شهاب الزهري قوله : « أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه » .

ومن العلماء الذين خاضوا ميدان هذا العلم : الإمام الشافعي ، والقاضي التنوخي ، ومحمد بن بحر الأصبهاني ، وقاسم القرطبي ، وعمر بن شاهين البغدادي ، وهبة الله بن سلامة ، ومحمد بن موسى الحازمي ، وابن الجوزي .

« أن النبي ﷺ نزل إلى الحَجُونِ^(١) كثيراً حزينا فأقام به ما شاء ربه — عز وجل — ثم رجع مسروراً ؛ فقلت : يا رسول الله ، نزلت إلى الحَجُونِ كثيراً حزينا فأقامت به ما شاء الله ، ثم رجعت مسروراً ؟ قال : سألت ربي عز وجل ، فأحيا لي أُمِّي ، فأمنت لي ، ثم رزها . »

رأى بعض الحفاظ في الحديث :

أورده ابنُ الجوزي في «الموضوعات»^(٢) .

وقال : قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر^(٣) هذا الحديث موضوع .

ومحمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة .

وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان .

رأى الإمام السيوطي :

قلت : أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكره الذهبي في «الميزان»

و«المضي» معاً فقال : محمد بن يحيى ليس بمجهول .

أما أبو غزيرة المدني الزهري فقال الدارقطني . متروك . وقال الأزدي : وهذه عبارته

فقد عرف بالضعف لا بالوضع .

ومن يُترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع بل في درجة الضعيف .

وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضاً ؛ فقد ذكره الذهبي في الميزان ،

(١) الحَجُونُ (مثل زسول) جبل بمكة مكة ، وموضع ، وقد جاء في سيرة ابن هشام أن أمه توفيت بالأبواء بين مكة والمدنية ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدى بن النجار تزوره إياهم ، فماتت وهي راجعة إلى مكة .

وذكر صاحب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف قوله : ويقال : إن قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ في شعب أبي ذب المعروف بشعب العقارب ، وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر الإسلام . و«أبودب» رجل من بني سؤدة بن عامر سكنه فسمى به ، وأنه ﷺ جاء إليها وزارها . وقيل : في غير هذا المثل من الملة ، وقيل بالأبواء وهو المشهور .

(٢) ابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي . علامة عصره في التاريخ والحديث . مولده ووفاته ببغداد . من آثاره : «روح الأرواح» و«تليس إبليس» ، و«كتاب الضعفاء والمتروكين» في رجال الحديث — توفي سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م (الأعلام ٧١/٤) .

(٣) صنف الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدس كتابا جمع فيه رجال البخاري ومسلم . والحافظ المقدسي : محمد بن طاهر المقدسي الشيباني حافظ كبير جوال توفي ببغداد سنة ٥٠٧ هـ ١١١٣ م .

وقال : روى عن حرملة التَّجِيبِيَّ ، وَلَيْتَهُ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ ؛ وَمَنْ يَتَرَجَّمُ بِهَذَا يُعْتَبَرُ بِحَدِيثِهِ .

وأما محمد بن زياد : فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات ، وأحد الأئمة في التفسير . قال الذهبي^(١) : صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه ، أثنى عليه أبو عمرو الدانّي ، وحدث مناكير .

ومع ذلك فلم ينفرد به ؛ فإن للحديث طريقين آخرين : عن أبي عُزَيَّةَ .

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكي الطبري^(٢) في كتابه «السيرة» أنا أبو الحسن بن المقبر أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي أجازته أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخصر ثنا أبو غزوة محمد بن يحيى الزهري ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة «أن النبي ﷺ نزل الحَجُّونَ كَيِّباً حَزِيناً فَأَقَامَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُوراً قَالَ : «سَأَلْتُ رَبِّي فَأَحْيَا لِي أُمَّي فَأَمَّنْتُ لِي ، ثُمَّ رَدَّهَا كَمَا شَاءَ ذَكَرَهُ» .

وأما الذهبي : فلم يُعَلِّ الحَدِيثَ بِوَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ بَلْ قَالَ : قَالَ فِي الْمِيزَانِ^(٣) : عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد بحديث : «إن الله أحيا لي أُمِّي فَأَمَّنْتُ لِي ..» (الحديث) لا يُدْرَى مِنْ ذَا الْحَيَوَانَ الْكُذَّابِ ! فَإِنْ هَذَا

الحافظ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تركا في الأصل ، حافظ ، علامة ، مؤرخ ، حقق . قارب عدد تصانيفه المائة . منها المشتهر في الأسماء والأنساب ، والكنى والألقاب ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال . تولى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م (الاعلام ٢٢٢/٦) .

وكتابه : «ميزان الاعتدال» ، كتاب أساسي في تاريخ الرواة وأحوالهم وتراجمهم سلك فيه مسلك ابن عدي في ذكر كل من تكلم فيه ، وإن كان ثقة ، وأتى في بعض تراجمه أيضا بحديث أو أكثر من غرائب صاحب الترجمة ومناكيره .

ويقول الحافظ الذهبي في مقدمة كتابه ميزان الاعتدال : إنهم — يعني المحدثين — لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، فلما وقعت نظروا من كان من أهل السنة فأخذوا حديثه ، ومن كان من أهل البدع فقد تركوا حديثه .

(٢) الحافظ محب الدين الطبري : هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو العباس محب الدين الطبري الشافعي ، صنف التصانيف الجيدة منها «الأحكام» ، و«كتاب في فضل مكة» وغير ذلك تولى سنة ٦٩٤ هـ (طبقات الشافعية للسبكي) (١٨ / ٨) .

(٣) سبق أن عرفنا بهذا الكتاب عند الترجمة للحافظ الذهبي . وانظر الحديث نفس المرجع ٦٨٤/٢ .

الحديث كذب مخالف لما صحَّح من «أنه عليه السلام استأذن ربّه في الزيارة في الاستغفار لها فلم يأذن له . (انتهى) .

وحاصله : أنه أُعْلِلَ^(١) الحديث بأمرين :

أحدهما — جهالة عبد الوهاب بن موسى !

الثاني — مخالفته للحديث الصحيح المذكور .

رأى الإمام السيوطي :

وأقول : الجواب عن الأمر الأول : أن عبد الوهاب معروف من رِوَاة مالك ،

وقد روى هذا الحديث أيضا عنه .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب^(٢) (السابق واللاحق) : «أنا أبو العلاء

الواسطي ، ثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي ، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع

الزاهد ، ثنا علي بن أيوب الكعبي ، ثنا محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية ، ثنا عبد

الوهاب بن موسى ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن

عائشة قالت :

«حجّ بنا رسول الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الْحَجُّونِ وَهُوَ بَيْتُ حَزِينٍ

مُعْتَمِّمٌ فَبَكَيْتُ لِكَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ إِنَّهُ طَفَرَ^(٣) ، فَتَزَلْتُ ، فَقَالَ : يَا حُمْرَاءُ

اسْتَمْسِكِي» فاستندت إلى جنب البعير ، فمكثت عنى طويلا ، ثم إنه عاد إلّى وهو

(١) عكف علماء المسلمين على دراسة الحديث دراسه سمية موضوعية وقسموه قسمين : السند ، والمتن ،

واصطنعوا لكل من القسمين عددا من العلوم قرروا فيها موازين ومقاييس تساعدهم على الوصول إلى أدق

الأحكام ، وأصحبها . فمن العلوم التي استبطوها لدراسة السند (الرواة) : ١ — علم تاريخ الرواة .

٢ — علم الجرح والتعديل . ٣ — علم علل الحديث . ومن العلوم التي استبطوها لدراسة المتن (النص) :

١ — علم غريب الحديث . ٢ — علم مختلف الحديث . ٣ — علم ناسخ الحديث ومنسوخه . والعلة في

الحديث ليست من الأمور الظاهرة في غالب الأحيان ، وإنما هي سبب خفي لا يدركه إلا الراسخون في العلم

الذين تكونت عندهم بطول الدرس والممارسة الملكة الراجعة المميزة التي تستطيع معرفة الأحاديث المعلولة ،

والكشف عن الأسباب الغامضة التي تطعن في صحتها كأن يكون الحديث موقوفا ويروى على أنه مرفوع ، أو

يكون منقطعا ويروى على أنه موصول ، وما شابه ذلك .

(٢) له أيضا : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع . وله : «تقييد العلم» و «الكفاية» وهو محدث

الشام والمراق ، ولد سنة ٣٩٢ هـ . وهو من كبار الفقهاء الشافعية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) طفر : أى وثب .

فرح مُتَبَسِّمٌ ؛ فقلت له : بأذى أنت وأُمِّي يارسول الله ، نزلت من عندى وأنت باك حزين مُعْتَمٍ ، فبكيت لبكائك ثم إنك عُدتَ إليَّ وأنت فرح مُتَبَسِّمٌ ؛ فعن ماذا يارسول الله ؟ فقال : « مررت بقبر أُمِّي آمِنَةٌ ، فسألت الله أن يُخَيِّبَهَا فَأَحْيَاهَا ، فَأَمَتَتْ بِي — أَوْ قَالَ — وَرَدَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ »^(١) أخرجَه من هذا الطريق الدارقُطَني^(٢) في « غرائب مالك » وقال : باطل !

وأخرجَه ابن عساكر^(٣) في « غرائب مالك » أيضا ، وقال : منكر ! وأورده « ابن الجوزي » في « الموضوعات » أيضا ، ولم يتكلم على رجاله وقد قال « الذهبي » في « الميزان » : على بن أيوب أبو القاسم الكعبي روى عن محمد بن يحيى الزهري لا يكاد يُعَرَفُ !

رأى السيوطي :

قلت : قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى أحد الرواة عن مالك ، وعبد الوهاب بن موسى هذا يقال له أبو العباس الزهري ، ذكره الخطيب في الرواة عن مالك .

وأورد له أثراً عن مالك ، فأخرج من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مریم ، المصرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري ثنا مالك بن أنس حدثني عبد الله بن دينار عن سعيد الجارمي مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأخبار قال لعمر بن الخطاب « إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا ميت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة » هذا الأثر معروف عن مالك أخرجه « ابن سعد »

(١) لفظ الخطيب : قال القرطبي : وقد ذكر السهيلي في « الروض الأنف » بإسناد فيه مجهولون : « أن الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به » .

(٢) الدارقطني : هو علي بن عمر . ولد بدار القطن (حى في بغداد) سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٩ م وكان إمام عصره في الحديث ، وأول من صنف في القراءات ، ومن كتبه : « السنن » ، و « المختلف » ، و « المؤلف » .

(٣) ابن عساكر هو أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الشافعي خاتمة الجهادية الحفاظ تولى سنة ٥٧١ هـ ولقد أنشئت أول دار للحديث في القرن الهجري السادس تحقيقاً لرغبة نور الدين محمود بن أبي سعيد الزنحى (٥٦٩) الذى خلد اسمه بإنشاء المدرسة النورية في دمشق وكان ابن عساكر من شيوخ هذه المدرسة .

في «الطبقات»^(١) عن معن بن عيسى عن مالك بن سنده ومنه سواء؛ فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه، وبروايته المعروفة وكان الحديث عنده من طريقتين .

عن هشام عن مالك عن أبي الزناد .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد . فرواه مرة هكذا ، ومرة هكذا .

وفي هذه الطريق زيادة فائدة وهي : أن ذلك وقع في «حجة الوداع» وبه يحصل الجواب عن الأمر الثاني ، وهو المخالفة لحديث الاستئذان في الاستغفار عند الزيارة ، فإن قصة الزيارة كانت «عام الفتح» كما في حديث بُرَيْدَةَ وذلك قبل هذه القصة بعامين .

ولهذا أورده ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» فأورد أولاً : حديث الزيارة واليهي عن الاستغفار وجعله منسوخاً .

وأورده بعده : حديث عائشة في الإحياء وجعله ناسخاً . وذلك حسن جلي ، وتابعد القرطبي^(٢) على ذلك فقال في «التذكرة» بعد أن أورد حديث عائشة في إحياء أمه ، وحديث إحياء أبويّه :

ولا تعارض ؛ لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة في حجة الوداع ؛ ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار .

وقال ابن شاهين أيضاً :

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ثنا إبراهيم بن سعيد وزهير بن محمد — وله اللفظ — قالوا : ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا الصعق بن حرب عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : «جاء ابننا مليكة فقالا : يا رسول

(١) ابن سعد هو : محمد بن سعد الزهري ، مؤرخ ثقة ، من حفاظ الحديث ، ولد في البصرة ، وعاش في بغداد توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م (الأعلام ٦٧) وانظر الأثر في طبقاته (١٩٦/٥ - ١٩٧) .

(٢) القرطبي شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ .
إمام فقيه مجتهد وله تصانيف كثيرة مشهورة منها : الجامع لأحكام القرآن ، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، و «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» وقد أورد فيها فصلاً تناول فيه ذلك التعارض بين حديث الإحياء ، والاستغفار «وهو بحث جدير بالاطلاع عليه ، ولولا أن المؤلف نقله بنصه لقلناه إليك في مقدمة الكتاب مع مقاله العجولوني في بـ الموفق .

الله ، إن أمنا كانت تكرم الضيف ، وقد ماتت في الجاهلية ، فأين أمنا ؟ فقال :
« أمكما في النار » . فقاما وقد شق ذلك عليهما ، فدعاهما رسول الله ﷺ فقال :
« إن أمي مع أمكما » !

فقال منافق من الناس : أو ما يعنى هذا عن أمه إلا ما يعنى ابنا مليكة عن
أمهما !؟

فقال شاب من الأنصار : لو أن أبويك ! فقال رسول الله ﷺ : « ما سألتها ربي
فيعطيني فيهما ، وإني لقام المقام المحمود ! » .
أخرجه الحاكم في المستدرک^(١) وقال : صحيح .

الفوائد الكامنة في هذا الحديث :

في هذا الحديث فوائد :

منها — أن قوله : « أمي مع أمكما » كان قبل أن يسأل ربه فيها ، فلا ينافيه
حديث إحيائها ، وإيمانها حين سأل ربه في ذلك .
ومنها — أنه ﷺ جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه ، فدل ذلك على إمكانه .
ومنها — أن أصحابه جوزوا ذلك عليه ، واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى
ذلك .

وقال ابن سعد في الطبقات : « أنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن
إسحاق بن عبد الله بن الحرث قال : « قال العباس : يا رسول الله ، أترجو لأبي
طالب ؟ قال : « كل الخير أرجو من ربّي » .
فإذا كان هذا رجاءه لأبي طالب ، مع كونه أدرك البعثة ، وعرض عليه الإسلام
فأبى فلا بؤيه أولى .

(١) الحاكم هو : الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون نعيم الضبي
الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع التوفي سنة خمس وأربعمئة ، وكتابه معروف بالمستدرک على كتاب
الصحيحين مما لم يذكره . وهو على شرطهما ، أو شرط أحدهما . أولا على شرط واحد منهما . ويقول منير
الدمشقي : وهو منسأل في التصحيح : واتفق الحافظ على أن تنميده البيهقي أشد تحريا منه . انظر المستدرک
(٢ / ٣٦٤) وخيبة لأبي نعيم (٤ / ٢٣٨) .

وقال السهيلي في كتابه «الروض الأئف»^(١) روى حديث غريب — لعله يصح — وجدته بخط جدى أوى عمر بن أبى الحسن القاضى بسند فيه مجهولان ، ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبى الزناد عن عروة عن عائشة أخرجت «أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يُحْيِيَ أبويه فأحيهما له ؛ فأما به ، ثم أماتهما» .

والله قادر على كل شىء وليس تعجزُ رحمته وقدرته عن شىء ، ونبيه ﷺ أهل أن يختص بما شاء من فضله ، ويُتعم عليه بما شاء من كرامته . (انتهى)
وقال القرطبي : ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية^(٢) أن الحديث فى إيمان أمه وأبيه «موضوع» يرده القرآن العظيم والإجماع قال تعالى : ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾^(٣) .

وقال : ﴿فِيمَتْ وهو كافر﴾^(٤) فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة .. بل لو آمن عند المعاينة^(٥) ، لم ينفع فكيف بعد الإعادة !؟
وفى التفسير أنه عليه السلام قال : «ليت شعرى ما فعل أبواى» !؟ فنزل : ﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾^(٦) .

(١) الرّوض الأئف على سيرة ابن هشام للسهيلى . قال فى القاموس : وروضة أئف — كعتق — لم تُزغ . وجارية أئف : لم تطمئ ، وكأس أئف لم تمتد إليها يد .

(٢) هو الحافظ عمر بن الحسن المشهور بابن دحية ، وهو أندلسى بلنسى ، نسبة إلى بلنسية مدينة فى شرق الأندلس . توفى بالقاهرة سنة ٦٣٣ . له : «التوير فى مولد السراج المنير» وكان أول أستاذ فى دار الحديث التى أقيمت فى القاهرة بأمر الملك الأيوبي الكامل ناصر الدين وقد تم تأسيسها سنة ٦٢٢ هـ .

(٣) النساء : ١٨ .

(٤) البقرة : ٢١٧ .

(٥) معاينة الموت . كمايمان فرعون عندما قال «آمنت» وذلك حين أدركه الفرق .

(٦) البقرة : ١١٩ . قال ابن كثير فى تفسيره للآية وقرأ آخرون : «ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم» بفتح التاء على النهى . أى لا تُسأل عن حالهم . كما قال عبد الرزاق : أخرجنا الثورى عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب القرظى قال : قال رسول الله ﷺ : «ليت شعرى ما فعل أبواى . ليت شعرى ما فعل أبواى . ليت شعرى ما فعل أبواى ؟ فنزلت : ﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله عز وجل .» ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة . وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب بمثله . وقد حكاه القرطبي عن ابن عباس ومحمد بن كعب . قال القرطبي : وهذا كما يقال : لا تُسأل عن فلان . أى قد بلغ فوق ماتمجب . وقد ذكرنا فى التذكرة «أن الله أحيا له أبويه حتى آمن به . وأجبتنا عن قوله : إن أبى وأباك فى النار» قلت : والحديث المروى فى حياة أبويه عليه السلام ليس فى شىء من الكتب الستة ، ولا غيرها وإسناده ضعيف . والله أعلم .

قال القرطبي : وفيما ذكره ابن دحية نظر ؛ وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى ، وتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مما فضله الله تعالى وأكرمه به .

وليس إحياءهما وإيمانها بممتنع عقلا ولا شرعا ؛ فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل ، وإحياءه بقاتله .

وكان « عيسى ابن مريم » عليه السلام يُحْيِي الموتى .

وكذلك نبينا ﷺ أحيانا الله على يديه جماعة من الموتى .

وإذا ثبت هذا فما يَمْنَعُ من إيمانها بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته ، مع ما ورد من الخبر في ذلك ، ويكون ذلك خصوصا فيمن مات كافرا .

وقوله : « فمن مات كافرا ... » إلى آخر كلامه مردود بما في الخبر : « أن الله تعالى ردّ الشمس على نبيه عليه السلام بعد مغيبها حتى صلى على » . ذكره أبو جعفر الطحاوى وقال : إنه حديث ثابت^(١) . فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا ، وأنه لا يتجدد الوقت ، لما ردّها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبي ﷺ نافعا لإيمانها وتصديقهما بالنبي ﷺ . وقد قبل الله إيمان قوم يونس^(٢) وتوبتهم ، مع تلبّسهم بالعذاب ، كما هو أحد الأقوال ، وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية : فيكون ذلك قبل إيمانها ، وكونها في العذاب .

[انتهى كلام القرطبي]

رأى السيوطي فيما قاله القرطبي :

قلت : استدلاله على عدم تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن ؛ ولهذا حكم بكون الصلاة أداء ، وإلا لم يكن لرجوعها فائدة ، إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب !

(١) ذكر السيوطي في الدرر المنيرة : « إن الشمس ردّت على علي بن أبي طالب ، ثم قال : قال أحمد : لا أصل له . قلت : أخرجه ابن منده ، وابن شاهين من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن . ومن صححه الطحاوى والقاضى عياض . وقد ادعى ابن الجوزى أنه موضوع فأخطأ . كما بيته في مختصر الموضوعات وفي التعقيبات .

(٢) كما تشير إليه الآية : « إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم ... الخ »

استدلال أوضح منه :

وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو :

ما ورد « أن أصحاب الكهف ، يُبعثون في آخر الزمان ، وَيُحْتَوَن ، ويكونون من هذه الأمة ؛ تشريفا لهم بذلك . وورد عن ابن عباس مرفوعا « أصحاب الكهف أعوان المهدي » [أخرجه ابن مردويه في تفسيره] فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت . ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوى النبي ﷺ عُمرًا ، ثم قبضهما قبل استيفائه ، ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية ، وآمنا فيها ، فيعتد به ، ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما ؛ لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم به نبيه ﷺ ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ، ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة .

رأى السيوطي فيما قاله ابن دحية :

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن — ليس على طريقة أهل الحديث^(١) .

فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه « الانتصار » تعليل ابن حزم^(٢) لحديث الإسراء الذي أخرجه البخاري ، وحكمه عليه بأنه « موضوع » لمخالفته ما ثبت في أحاديث الإسراء الصحيحة ثم تعقبه بأن قال : إن « ابن حزم » — وإن كان إماماً في علوم شتى — إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث .

(١) الحديث « المُعَلَّ » ويسمى « المعلول » كما وقع في عبارة البخاري والترمذي والحاكم وهو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته ، وإن كان يبدو في الظاهر سليماً من العلل . والطريق إلى معرفة المعلل جمع طرق الحديث ، والنظر في اختلاف رواته وضبطهم وإقنائهم . والأجود فيه أن يقال مُعَلَّ لأنه مفعول أغل قهاماً وأما معلل فهو مفعول علل والتعليل بمعنى الإلهاء بالشئ وشغله ، وليس هذا الفعل بمستعمل في كلامهم . انظر تدريب الراوي للسيوطي : ٨٨ .

(٢) أبو بكر بن حزم : هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، نسب إلى جد أبيه ، وأبو بكر فقيه ، استعمله عمر بن عبد العزيز على إمرة المدينة وقضايتها ، ولهذا كتب إليه يقول : « انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فأكبه ، فإنني خفت دروس العلم (أى ذهابه) ، وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي ، » .

وذلك أن الحُفَاطَ إِنَّمَا يَعْلَمُونَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْنَادِ الَّذِي هُوَ شِبْرَقَةٌ إِلَيْهِ ،
وهذا الرجل علله من حيث اللفظ .

(انتهى)

الرأى فى حدِيث « لیت شعری .. الخ » :

وأما حدِيث « لیت شعری ما فعل أبواى » فإنه مُعْضَلٌ ضَعِيفٌ لا تقوم به
حُجَّةٌ^(١) .

• وقال الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس فى سيرته^(٢) : بعد أن ذكر رواية ابن
إسحاق^(٣) فى أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه :

وقد روى « أن عبد الله بن عبد المطلب ، وآمنة بنت وهب أبوى النبى ﷺ
أسلما أيضاً ، وأن الله أحياهما له ، فأما به » .

وروى ذلك أيضاً فى حق جدّه عبد المطلب .

قال : وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبى رزّين العقيلى^(٤) قال : « قلت يارسول

(١) المفضل (بفتح الصاد) هو الذى سقط من سلسلة إسناده راويان متاليان فأكثر ، وقد أشرنا إلى تدرج
مراتب الضعف تبعاً للفرقات التى حدثت فى الحديث ويأتى المفضل فى المرتبة الثالثة من مراتب عشر للحديث
الضعيف . وليت شعرى معناها : ليتى أعلم .

(٢) هو أبو الفتح بن محمد بن محمد بن أحمد ، المشهور بابن سيد الناس اليعمرى الأندلسى الأصل ، المصرى
الشافعى . أحد أعلام الحفاظ . توفى سنة ٧٣٤ هـ . له (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال والسير) وهو
الذى أشار إليه المؤلف ونقل عنه .

(٣) كان ابن إسحاق من بين أعلام القرن الثانى ، وكان له علمه الواسع ، وإطلاعه الغزير فى أخبار الماضين ،
وقد جمع ابن هشام مجهود ابن إسحاق فى السيرة وراح يدون سيرته هو وتعقب ابن إسحاق بالتحريز
والاختصار والنقد ، هذا إلى تكملة أضافها وأخبار أتى بها ، وقال صاحب الأعلام : أحمد بن إسحاق ، عالم
بالأدب والسير ، له اشتغال بالتفسير والحديث وله كتب عدة توفى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م [الأعلام ١ /
٩١] .

(٤) لما أخرجه أحمد عن ابن رزّين العقيلى .. أما أحمد فهو : أحمد بن حنبل . إمام المذهب الحنبلى ، وأحد
الأمّة الأربعة . أصله من مرو . وكان والده والى سرحس . ولد أحمد ببغداد سنة ١٦٤ هـ / ٧٨٠ م ، ونشأ
منكباً على طلب العلم ، وسافر فى سبيله إلى معظم البلاد الإسلامية صنف المسند وكتب أخرى ، وسجن
ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن ، وكان ذلك فى عهد المحتصم والوائق ، ولما ولى المتوكل
أطلق سراح ابن حنبل من السجن ، وأكرمه إكراماً ، وتوفى سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م (الأعلام ١ / ١٩٢) .
وأما أبو رزّين العقيلى فهو لقيط بن عامر قال فى الإصابة : روى عنه ابن أخيه وكيع بن عُذس ، وعبد الله
ابن حاجب ، وعمر بن أوس الثقفى . والحديث فى مسند أحمد (١١٤) .

الله أين أمي؟ قال أمك في النار. قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟!» .

الجمع بين هذه الروايات كما يراه ابن سيد الناس :

قال : وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله .
أن النبي ﷺ لم يزل راقياً في المقامات السنية ، صاعداً في الدرجات العليا إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه ، وأزلفه^(١) بما خصه به لديه من الكرامة حين القوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض

« انتهى »

رأى العلامة ابن حجر وهو إمام الحفاظ :

هذا كله كلامي على هذا الحديث بنقدي من غير أن أطلع على كلام إمام الحفاظ أبي الفضل بن حجر^(٢) فوجدته ساق كلام «الميزان» في ترجمة «عبد الوهاب» بلفظه ، ثم قال ما نصه : قلت : تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن ؛ فسكت عن المتهم بهذا الحديث ، وجزم بمرح البريء .

وقد قال الدارقطني في «غرائب مالك» ما نصه : ويروى عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة حديثان مُنكران^(٣) ، باطلان : فذكر «هذا الحديث» من طريق علي بن أحمد الكعبي عن أبي غزيرة .

ثم قال : وهذا كذب على مالك ، والحمل فيه على أبي غزيرة ، والمتهم به هو ، أو من حَدَّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

(١) أزلفه : قربه منه .

(٢) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناقي العسقلاني المصري ، إمام الحفاظ في زمانه ، وقاضى القضاة ، ولد سنة ثلاث وسبعين وسعمائة ، وعانى الأدب وعلم الشعر أولاً ، فبلغ فيه الغاية ، ثم طلب الحديث ، فسمع الكثير ، وبرع فيه وتقدم في جميع فنونه ، وانتهت إليه الرياسة في الحديث ، وألف كتاباً كثيرة كشرح البخارى . وتقريب التهذيب تولى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

(٣) الحديث المنكر (بفتح الكاف) هو الذى لا يُعرفُ منه إلا من راوٍ واحد بعيد عن الضبط .

ثم قال الحافظ بن حجر : وأخرج «ابن الجوزي» في «الموضوعات» من طريق عمر بن الربيع الزاهد : ثنا علي بن أيوب الكعبي حدثني محمد بن يحيى أبو غزوية الزهرى عن عبد الوهاب بن موسى : فذكر الحديث مطولا .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش^(١) المفسر قال : ثنا أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب .

ثم قال «ابن الجوزي» : النقاش ليس بثقة ، وأحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى مجهولان . قال الحافظ بن حجر : فأما قوله : علي بن أيوب الكعبي ، فوافقه ابن عساكر عليه ؛ لما أخرج هذا الحديث بطوله كما سيأتى في ترجمة عمر بن الربيع . وسمى الدارقطنى أباه أحمد .

وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول ؛ بل هو معروف له ترجمة جيدة في «تاريخ مصر» لأبى سعيد بن يونس ، ورماه الدارقطنى بالوضع ، وهو أبو غزوية محمد بن يحيى الزهرى ، وسيأتى ذكره في موضعه .

وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من سند النقاش ما يتميز به في طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى وعلى بن أيوب الكعبي مصرى كما قال الدارقطنى .

وقد ذكر الخطيب : «عبد الوهاب بن موسى» صاحب الترجمة في الرواة عن مالك وكنّاه «أبا العباس» ونسبه «زهريا» وأورد له من طريق سعيد بن أبى مریم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرأ موقوفا^(٢) على عمر في قصة له ، مع كعب

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلى ثم البغدادى أبو بكر النقاش وردت ترجمته في كتب الطبقات وفي إرشاد الأريب ٤٩٦:٦ . مقرئ مفسر كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير . ضمه جماعة . قال البرقاني : كل حديث النقاش منكر . وقال الخطيب : في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة ، وقال الذهبى : متروك ليس بثقة .

(٢) الخثار في تعريف الموقوف : أنه ما يروى عن الصحابى من قول أو فعل ونحوه . ولا يتجاوز بالمرورى إلى الرسول سواء أكان متصلا أم منقطعا . وسواء أكانت النسبة صحيحة أم غير صحيحة . ولم يخالف في هذا التعريف إلا الحاكم ، فقد شرط صحة النسبة ، واتصال السند حيث شرح الموقوف بقوله : «أن يروى الحديث إلى الصحابى من غير إرسال ، ولا إعضال ، فإذا بلغ الصحابى قال : الراوى : إنه كان يقول كذا وكذا ، وكان يفعل كذا وكذا ، وكان يأمر بكذا وكذا .

الأخبار^(١) ، وقال : إنه تفرد به ، ولم يذكر فيه جرحاً .

وأورده «الدارقطنى» فى «الغرائب» من هذا الوجه ، وقال : هذا صحيح عن مالك^(٢) ، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ، ومن دونه كذلك .

ونقل ابن الجوزى عن شيخه محمد بن ناصر : أن هذا الحديث «موضوع» ؛ لأن قبر آمنة بالأبواء كما ثبت فى الصحيح ، وأبو غزيرة هذا زعم أنه «بالْحَجُون» وسبق «ابن الجوزى» إلى الحكم بوضعه ومعارضته بحديث «بُرَيْدَةَ الجوزقانى» فى كتاب «الأبطال» وسيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع زيادة فى الكلام على حديث أبى غزيرة عن عبد الوهاب بن موسى . هذا كله كلام «لسان الميزان» فى ترجمة عبد الوهاب . وقوله فى أحمد بن يحيى : إنه لم يظهر من سند «النقاش» ما يتميز به .

يقال عليه : قد ظهر من السند الذى ساقه ابن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ» عنه ما يُمَيِّزُ به حيث نسبه الحضرمى .

وقال فى «لسان الميزان» فى ترجمة «أبى غزيرة» : هو «أبو غزيرة» الصغير زهرى كان بمصر روى عنه جماعة منهم .

وقد ذكره أبو سعيد بن يونس فى «الغرائب» ونسبه فقال : محمد بن يحيى بن محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ، ولقبه أبو غزيرة مدنى قدم مصر وله كنيتان .

وذكر فى من روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكلباسى وزكريا بن يحيى البغوى ، وسهل بن سوادة الغافقى ، ومحمد بن فيروز ، ومحمد بن عبد الله بن حكيم قال : ومات فى يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين .

(١) كعب الأخبار من اليهود الذين أسلموا ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما أحاط بها من أساطير وخرافات وهو كعب بن ماتب من اليمن ، أسلم فى خلافة أبى بكر أو عمر على خلاف فى ذلك وانتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام ، وقد أخذ عنه اثنان ، هما أكبر من نشر علمه : ابن عباس وهذا يعطل ما فى تفسيره من إسرائيليات — وأبو هريرة .

(٢) مالك : إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة . وهو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الراجح ، وكان أبوه أنس راوية للحديث ، وأخذ مالك عن الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وهو أول من دون الحديث وكذلك روى مالك عن نافع مولى ابن عمر .

وقال الدارقطني : في «غرائب مالك» : ثنا أبو بكر الحباس المصري ، ثنا محمد ابن عبد الله بن حكيم بمصر ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري ، ثنا عبد الوهاب بن موسى ، حدثني مالك عن ابن شهاب ، حدثني سعيد بن المسيب ، حدثني عبد الله ابن عمر لما ولي علي ، فذكر قصة فيها فقال علي : إن أبا بكر سبقني إلى أربع الحديث .

قال الدارقطني : لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك .

وأبو غزية هذا هو الصغير «منكر الحديث» .

ثم أورد من طريق عليل بن أحمد قال : «وكان ثقة» ثنا أبو غزية محمد بن يحيى حدثني أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر رفعه إليه مندمة — أو مائة — وقال : لا يصح هذا عن مالك ، ولا عن الزهري ، والحمل فيه على «أبو غزية» .

(انتهى)

وأما «أبو غزية الكبير» ، فهو محمد بن موسى الأنصاري المدني القاضي يروي عن مالك وفليح بن سليمان ، وعن إبراهيم بن المنذر ، والزهري بن بكار ، وعمر بن محمد ابن فليح ، وطائفة .

ضعفه البخاري^(١) ، وابن حبان^(٢) ، وابن أبي حاتم^(٣) ، والعقيلي^(٤) ، وابن عدى^(٥) ، وثقّه الحاكم مات سنة سبع ومائتين .

(١) من المؤلفين في الرواة الضعفاء والمتروكين : البخاري ، والنسائي ، والعقيلي ، وابن الجوزي ، وابن عدى ، والنهسي صاحب «میزان الاعتدال» ، وإليك بياناً بما أشار المصنف إليهم على الترتيب : البخاري : هو محمد بن إسماعيل البخاري . خبّر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ . صاحب الجامع الصحيح ، المعروف بصحيح البخاري ، وكتاب التاريخ ، وكتاب الضعفاء ، في رجال الحديث ، و«الأدب المفرد» ، ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م ونشأ بها ، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث ، وجمع نحو مائة ألف حديث . اختار منها في صحيحه ما وثق برواهه — وكتابه هذا يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم . توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م الأعلام (٦ / ٢٥٩) .

(٢) أما ابن حبان : فهو محمد بن حبان البستي مؤرخ ، علامة ، محدث . ولد في خراسان ، ونقل بين الأقطار ، وهو مكثّر من التأليف في الحديث وعلومه ، توفى سنة ٣٥٤ / ٩٦٥ م (الأعلام ٦ / ٣٠٦) .

(٣) من العلماء الذين كتبوا في علم علل الحديث ابن أبي حاتم ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي الرازي ، حافظ الترمذي ، وابن حافظها ، بحر العلم . توفى سنة (٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) .

(٤) العقيلي : محمد بن عمرو بن موسى العقيلي . حافظ كبير ، ذو تصانيف ، من الثقات . توفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م (الرسالة المستطرفة ص ١٤٤) .

(٥) ابن عدى : أحمد بن عبد الله بن عدى الجرجاني ، حافظ كبير . أحد الجهادية المرجوع إليهم في العلل والرجال . توفى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م (الرسالة المستطرفة ص ١٤٥) .

ترجمة علي بن أحمد :

وقال في ترجمة «علي بن أحمد الكمي» : مصري مُتهم ا روى عن أنى غزيرة ، عن عبد الوهاب بن موسى ، عن مالك عن أنى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة حديثين :

أحدهما : « أن النبي ﷺ لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحيها فأمنت به فردها إلى حُفرتها » .

والثانى : بهذا الإسناد « أن النبي ﷺ كان ينقل الحجارة للبيت عُريانا ، فجاءه جبريل وميكائيل فوارياه^(١) ، وطفقا^(٢) يحملان الحجارة عنه شفقة ، من الله عليه » قال الدارقطنى : و «الإسناد» و «المتنان» باطلان ، ولا يصح لأنى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شىء .

وهذا كذب على مالك ، والحمل فيه على أنى غزيرة . والمتهم بوضعه هو ، ومن حدث به عنه .

وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس^(٣) .

وقال في ترجمة على بن أيوب الكمي بعد أن ساق قول الميزان : « لا يكاد يُعرف ! » .

قلت : قد عرفه الدارقطنى ، وسماه على بن أحمد .

وقال في ترجمة «عمر بن الربيع» بن سليمان بن طالب الخشاب — بعد أن ساق قول الذهبى — : ذكره القراب في تاريخه وأنه كذاب ، ما نصه .

وضعفه الدارقطنى في «غرائب مالك» وقال «مسلمة بن قاسم» : تكلم فيه قوم ، ووثقه آخرون ، وكان كثير الحديث ، توفى سنة أربعين وثلاثمائة بمصر .

وأورد له ابن عساكر في «غرائب مالك» من طريق الحسين بن على بن محمد بن إسحاق الحلبي ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب ثنا على بن أيوب الكمي ، من

(١) وارياه : ستراه .

(٢) طيفقا يحملان : شرعا في حمل الحجارة .

(٣) فلان لا بأس به أو ليس به بأس من الصيغ الدالة على التعديل وتأتى هذه الصفة في المرتبة الرابعة لتحديد درجة المروى .

ولد كعب بن مالك ، حدثني محمد بن يحيى الزهري أبو غزيرة ، حدثني عبد الوهاب ابن موسى ، حدثني مالك عن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : « حج بنا رسول الله ﷺ في حَجَّة الوداع ... » فذكر الحديث .. كما تقدم من طريق الخطيب سواء .

رأى ابن عساكر فيه :

قال ابن عساكر : « هذا حديث منكر »^(١) من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني ، عن مالك .
و « الكمبي » مجهول ، والحلي صاحب غرائب .
ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام . وهشام لم يدرك عائشة ؛ فلعله سقط من كتابه : عن أبيه .

(انتهى)

قال الحافظ بن حجر : ولم ينه على عمر بن عبد العزيز الربيع ، ولا على محمد بن يحيى ، وهما أولى أنه يلصق بهما هذا الحديث من « الكمبي » وغيره .
وقد تقدم ذلك في ترجمة « عبد الوهاب بن موسى » . وفيه إثبات قوله عن أبيه التي ظن أنها سقطت فهو كما ظن .

(انتهى)

وقف تلخيصية :

هذا مجموع كلام الحافظ في لسان الميزان^(٢) فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله .
وقد تلخص لي منه وبما قدمته :

(١) الحديث من طريق الثقة يسمى معروفاً ، ومن طريق غيره يسمى منكراً ؛ وعلى ذلك ، فالحديث المعروف هو ما رواه الراجح « الثقة » مخالفاً المرجوح « غير الثقة » . والحديث المنكر هو ما رواه المرجوح مخالفاً للراجح .
(٢) لسان الميزان لابن حجر حاول فيه نسخ ميزان الاعتدال لفضل عليه لفظ منه من أخرج له الأئمة السعة أما ميزان الاعتدال : كتاب أساسي في تاريخ الرواة ، وأحوالهم ، وتراجمهم : سلك فيه الحافظ النهي سلك ابن عدى في ذكر كل من تكلم فيه ، وإن كان ثقة ، وأتى في بعض تراجمه أيضاً بحديث أو أكثر من غرائب صاحب الترجمة . ومناكيره .

أن الحديث «غير موضوع قطعاً» .
وبيان ذلك : أنه ليس في روايته من أجمع على جرحه ؛ فإن مدار الحديث على «أبي غزيرة عن عبد الوهاب» ، وعبد الوهاب وثقه الدارقطني في موضعين :

فقال في موضع : ثقة . وفي موضع : ليس به بأس .

وأقره الحافظ بن حجر ، ولم يُنقل عن أحد فيه جرح .

ومن فوقه من مالك فصاعدا لا يُسأل عنهم بجلالتهم .

والساقط بين هشام وعائشة وعروة قد ثبت في طريق آخر .

وأبو غزيرة قال فيه الدارقطني «منكر الحديث» .

وقال ابن الجوزي «مجهول»^(١) .

وترجمة ابن يونس ترجمة جيدة أخرجته عن حد الجهالة .

والكمبي — وأكثر ما قيل فيه — مجهول وقد عرف .

وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين ، وأنه كان كثير الحديث .

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة ، فكيف وله

متابع أجود منه . وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمي عن أبي غزيرة ؛ فإن هذا

الطريق أجود من حيث إن طريق الكمبي فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبي ،

وعمر بن الربيع ، والكمبي ، والحضرمي لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه

على أحمد بن يحيى ، وقد عرف لما نسب «بالين» ، وهي من ألفاظ التعديل الذي

يحكم بحديث صاحبه بالحسن .

فالحديث إذن من أفراد أبي غزيرة ومداره عليه .

وحُكِّم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه «منكر» حُجَّة لما قلته : من أنه

«ضعيف» ، لا «موضوع» ، لأن المنكر من قسم الضعيف ، وبينه وبين

«الموضوع» فرق كما هو معروف في فن الحديث^(٢) .

(١) الوصف بالجهالة يقع في أول مراتب الجرح .

(٢) لكي يتبين لنا الفرق يستحسن أن نستعيد ما قاله علماء الحديث عن :

المنكر : بفتح الكاف هو الذي لا يُعرف ثقته إلا من راو واحد بعيد عن الضبط .

الضعيف : هو الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن ؛ فهو أدنى في

سند من رتبة الصحيح والحسن ؛ أو وجد فيه علة قاذحة .

وأقوى ما اعتمد عليه في هذا الحديث قول « ابن عساكر » : فإن أكثر ما قيل في رواية « أبى غزية » أنه « منكر الحديث » ، فيكون حديثه الذى تفرد به « منكرأ » .

وضابط المنكر : « أنه الذى يتفرد به الراوى الضعيف مخالفاً لرواية الثقات » .

وهذا الحديث كذلك أى سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه ؛ فإن انتفت المخالفة ، كان ضعيفا فقط ، وهى مرتبة فوق « المنكر » أصلح حالاً منه ودون « المنكر » مرتبة أسوأ حالاً منه وهى مرتبة « المتروك » و« المتروك » أيضاً من قسم « الضعيف » الذى ليس بموضوع .

== الموضوع : ليس حديثاً فى الواقع ، لكن العلماء أطلقوا عليه — فى أول الأمر — اسم الحديث ، وبعد دراسته متنا وسندا تبين لهم وضعه ، فأخرجوه من زمرة الحديث . وما تسميتهم له باسم « الحديث » إلا باعتبار ما كان قبل فحصه ودراسته . أما بعد ذلك فهو خارج عن هذه التسمية ، ويحرم نقله وروايته .

دراسة علمية لحديث الزيارة

◎ فصل في حديث الزيارة

بم حكم عليه الإمام الذهبي ؟ وما رأى الحافظ بن حجر فيه ؟ :

حديث الزيارة الذي حكم الذهبي بصحته لم يخرج أحد من الأئمة الستة . بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وأحمد من حديث بريدة .
والطبراني^(١) من حديث ابن عباس .

وأشار الحافظ بن حجر في شرح البخاري إلى أن من حكم بصحته ، فليس لكونه صحيحاً لذاته ، بل لوروده من هذه الطرق^(٢) .
وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة^(٣) والله الحمد .

حديث ابن مسعود :

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هاني ، عن مسروق ، عن ابن مسعود قال :

« خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر وخرجنا معه . فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور ، ثم ارتفع نحيبه^(٤) باكياً ؛ فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فلقاه عمر ، فقال يا رسول الله : ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكنا وأفزعنا ! فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائي ؟ قلنا : نعم . قال : إن القبر الذي رأيتموني أنا جئ فيه قبر آمنة بنت وهب وإلى استأذنت ربي في زيارتها ، فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ، ونزل

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامي اللخمي ، صاحب [١] المعجم الكبير [٢] والمعجم الأوسط [٣] والمعجم الصغير ، ولد عام ٢٦٠ هـ وتوفي في ذي القعدة عام ٣٦٠ .
(٢) ينبغي أن نستعيد ما قيل في أقسام الحديث الصحيح : فهناك الصحيح لذاته : وهو ما اشتمل من صفات القبول على أعلاها .

والصحيح لغيره : وهو ما صحح لأمر أجنبي عنه كأن يكون رواه مشهورين بالعدالة والخط ، إلا أنهم أدنى رتبة من رجال الصحيح لذاته ، فهذا الحديث في أصله يسمى «الحسن» فإذا روى الحديث من وجه آخر ، ارتقى بهذه الرواية من درجة الحسن إلى درجة الصحة ؛ ولهذا سمي بالصحيح لغيره .
(٣) أي هناك من الأسباب ما يظعن في صحتها .
(٤) أعلن بالبكاء .

علی : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾^(١) الآيات فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذي أبكاني » قال الحاكم : هذا حديث صحيح .
وتعبه «الذهبي» في «مختصر المستدرک» فقال : قلت : «أيوب بن هانئ» ضعفه ابن معين .

(انتهى)

فهذه علة تُقدِّحُ في صحته .
والعجب من الذهبي كيف يصحح الحديث في الميزان اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه في «مختصر المستدرک» !؟

وللحديث علة ثانية : وهو مخالفته لما في «صحيح البخاري» وغيره : من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت «أبي طالب» واستغفار النبي ﷺ له ، ووردت أحاديث أُخرى في الترمذي وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة .

فإن كان الذهبي رد حديث الإحياء لمخالفته هذا الحديث ، فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته في صحيح البخاري وغيره .

حديث ابن عباس له علتان :

وأما حديث ابن عباس فأخرجه الطبراني ولفظه : «إن النبي ﷺ لما أقبل من غزوه واعتمر ، هبط من نثية^(٢) عُسفان ، فنزل على قبر أمه » .. وذكر نحو حديث^(٣) ابن مسعود وفيه نزول الآية .

له علتان : مخالفة الحديث الصحيح كما سبق .
وإسناده ضعيف .

(١) التوبة : ١١٣ ، ١١٤ . وانظر الحديث في المستدرک (٢ / ٣٣٦) ، ودلائل التوبة للبيهقي ١ / ١٨٩

(٢) النية : الطريق في الجبل ، وعسفان كهتان على مرحلتين من مكة .

(٣) إذا روى راوٍ حديثاً ، وروى راوٍ آخر حديثاً موافقاً له يسمى هذا الحديث متابعاً (بصيغة اسم الفاعل) .
فإن كانت الموافقة في المعنى دون اللفظ يقال : «نحوه» ويشترط في المتابعة أن يكون الحديثان من صحابي واحد ، وإن كانا من صحابين يقال له «شاهد» كما نقول مثلاً : له شاهد من حديث أبي هريرة . ويقال له شواهد . ويشهد به حديث فلان .

وبعضهم يحصون المتابعة بالموافقة في اللفظ ، والمشاهد في المعنى سواء من صحابي واحد أو من صحابين .

حديث بريدة :

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد ، وابن شاهين بلفظ : « لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جذم^(١) قبر فجلس إليه » وذكر نحوه .

وفي لفظ لابن جرير وابن شاهين من طريقه : « لما قدم مكة أتى رسم قبر » .

وعن ابن جرير من وجه آخر : « لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت » . وفي هذا الحديث : من علة المخالفة لا تقدم ، وله علة أخرى .

قال ابن سعد في الطبقات بعد تخريجه : هذا غلط ، وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء^(٢) .

(انتهى)

خلاصة

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة خصوصاً قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار ؛ لأنه لا يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره .

أصح طرق هذا الحديث :

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين^(٣) عن بريدة : « أن النبي ﷺ زار قبر أمه في ألف مقنع^(٤) فمارئى أكثر باكياً من ذلك اليوم » هذا القدر لا علة له ، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار . وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عن زيارة الموتي من غير سبب تعذيب ونحوه . هذا ما فتح الله بتحريره في هذا المحل والله الحمد .

(١) قال في المعجم الوسيط : الجذم : الأصل ، وجذم الحائط بقتنه . والرسم ما بقي من آثار الشيء .

(٢) وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ، وبيننا أن هذا الرأي هو الصحيح . وانظر الطبقات ١ : ١١٧ .

(٣) اشترط البخاري في إخراج الحديث شرطين : أحدهما معاصرة الراوي لشيخه ، والثاني ثبوت سماعه ، بينما

اكفى مسلم بشرط المعاصرة اختصار علوم الحديث .

(٤) المقنع : المغطى بالسلاح انظر المستدرک (٢/٦٠٥) .

◎ فصل

الدليل الثاني على أن أم النبي ﷺ ليست في النار

حديث الإحياء بين من حكموا بوضعه ومن حكموا بضعفه ! وترجيح السيوطي للفرقة الثانية :

حاصل ما تقرر في حديث الإحياء :

أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة : الدارقطني والجوزقاني ، وابن ناصر ، وابن الجوزي^(١) وابن دحية ، والذهبي .

والذين حكموا بضعفه فقط ، وأنه غير موضوع : ابن شاهين ، والخطيب ، وابن عساكر ، والسُّهَيْلِي^(٢) ، والقرطبي ، والمحب الطبري ، وابن سيّد الناس .

ووجه أخذه من كلام ابن شاهين : أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة فلو كان عنده موضوعاً لم يصلح أن يُحتج به على النسخ .

علل من حكموا بالوضع غير مؤثرة :

وقد نظرنا بحسب النقد : فوجدنا العلل التي علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة ؛ فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية^(٣) والله الحمد .

(١) يقول الدكتور صبحي الصالح في كتابه : « علوم الحديث ومصطلحاته » : « واشهر الكتب في بيان الأحاديث المختلفة ، كتاب الموضوعات ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي أخذ أكثره من كتاب الأباطيل ، للجوزقاني وكان هذا الأخير يحكم بالوضع على كل حديث يخالف السنة النبوية فعلاً أو تركاً وهكذا حكم ابن الجوزي بالوضع على بعض الصحاح والحسان .

(٢) السُّهَيْلِي صاحب الروض الأنف على سيرة ابن هشام .

(٣) وهي الفرقة التي حكمت بضعفه ، وأنه غير موضوع .

وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع : الحافظ شمس الدين
ابن ناصر الدين محدث دمشق ، من المتأخرين ؛ فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب
في كتابه المسمى « مورد الصادى فى مولد الهادى » وأنشد عقبه :

حَبَّأَ اللهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلِ وَكَانَ بِهِ رَعُوفًا^(١)
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلًا لَطِيفًا
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيمُ بَدَا قَدِيمًا وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا^(٢)



(١) حباه : أعطاه . والصادى العطشان .
(٢) ويكاد معظم العلماء يرون العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ، والمواظب ، والترغيب والترهيب كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

❶ فصل

الدليل على أنها ماتت وهي موحدة

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة :
أخرج أبو نُعَيْمٍ في « دلائل النبوة » من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم
عن أمها قالت :

شهدتُ آمنةً أمَّ رسول الله ﷺ في عِلَّتِها التي ماتت فيها^(١) ، ومحمدٌ غلامٌ يَفْعُ^(٢)
له خمس سنين^(٣) عند رأسها فنظرتُ إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام	يا بن الذي من حُرْمَةِ الجِمامِ ^(٤)
تجأ بعون الملك المنقما	فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت في المنام ^(٥)
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام	تبعث في التحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم	فالله أنهاك عن الأصنام ^(٦)

أن لا تواليا مع الأقوام

(١) علتها : مرض موتها .

(٢) يفع : يقال يفع الغلام : شب وترعرع أو شارف الاحتلام ، وناهر البلوغ، واليافع : دون المراهق .

(٣) ويقول ابن هشام في سيرته : « فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت على أخواله من بني عدى ابن الجار ، تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة إلى مكة .

ويقال : إن قبر آمنة بنت وهب في شيب أبي ذر بمكة . (راجع الطبري) وقد نقلنا لك من قبل الرأي في هذا .

(٤) الجمام بكسر الحاء : الموت .

(٥) تشير إلى نذر عبد المطلب تفيها لرؤيا رآها والإشارة عليه بدفع الدية مائة من الإبل السائمة فداء لعبد الله بعد أن وقعت السهام عليه عند ضربها لمعرفة من ينفذ فيه النذر بالذبح .

(٦) أنهاك : كفك ومنعك .

ثم قالت :

كل حَى مَيّت ، وكلّ جديد بالٍ ، وكلّ كريم يَفْنَى ، وأنا مَيِّتَةٌ ، وذكرى باقٍ ،
وقد تركتُ خيراً ، وَوَلَدْتُ طَهْرًا !!

ثم ماتت ، فكنا نسمع نوحَ الجِنِّ عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاةَ البَرّةَ الأُمينةَ ذاتَ الجمالِ والعفةِ الرزينةِ
زوجةَ عبدِ اللهِ والقريضةِ أمّ نبيِّ اللهِ ذى السكينةِ
وصاحبِ الجَنبِ بالمدينةِ صارت لدى حُفْرَتِها رهينةِ

هذا القول من أم النبي ﷺ صريح في أنها مَوْحِدَةٌ إذ ذكرت دينَ إبراهيم ، وبغثِ
ابنِها صلى الله عليه وسلم بالإسلام ، من عِنْد ذى الجلال والإكرام ، ونهته عن
الأصنام ، وموالاتِها مَعَ الأَقوامِ .

وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد .. الاعتراف بالله وإلهيته ، وأنه لا شريك
له ، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها ، وهذا القدر كافٍ في التبرّى من الكفر ،
وثبوت صفة التوحيد في الجاهلية ، قبل البعثة ، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد
البعثة .

وقد قال العلماء في حديث الذى أمر بنبيه عند موته أن يحرقوه ، ويسحقوه ،
ويذروه في الريح وقوله «لئن قدر الله علىّ ليعذبنى» وفي رواية «لعلّ أضلّ الله» (١) :
إن هذه الكلمة لامتناع الحكم بإيمانه ؛ لأنه لم يشك في القدرة ، ولكن جهل ، فظن
أنه إذا فعل ذلك لا يُعاد .

ما يؤيد أنها تحنّفت في حياتها :

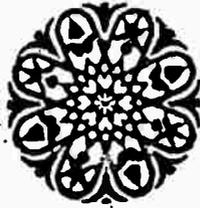
ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافرا ، فقد كان جماعة تحنّفوا وتركوا
ما كان عليه أهل الشرك ، وتمسكوا بدين إبراهيم ، وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن
نفييل ، وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل فكلهم محكوم بإيمانه في الحديث ، ومشهود له

(١) جاء في مختار الصحاح للرازي في مادة «ضَلَّ» . وفي الحديث : «لَعَلِّي أضلّ الله» يريد : أضل
عنه : أى أخفى عليه من قوله تعالى : ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى خفيّا . ثم قال : قلت أصل الحديث
« أن بعض العصاة الخائفين قال لأهله : « إذا مِت فاحرقوني ، ثم ذروني في الريح لعل أضلّ الله تعالى » .

بالجنة ، فلا بدع أن تكون أم النبي ﷺ منهم ! كيف وأكثر من تحنّف إنما كان سبب
تحنّفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهّان ، قرّب زمنه ﷺ من أنه قرّب بعث نبيّ
من الحرم صفته كذا .

وأم النبي ﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها ، وشاهدت في حمّله وولادته
من آياته الباهرة ما يحمل على التحنّف ضرورة ، ورأت النور الذي خرج منها أضواء له
قصور الشام ، حتى رأتها كما ترى أمهات النبيين . وقالت لحليمة حين جاءت به وقد
شقّ صدره وهي مذعورة : « أخشيتا عليه الشيطان ؟ كلاً والله ما للشيطان عليه
سبيل ، وإنه لكائن لابني هذا شأن » في كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة
عام وفاتها ، وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ، ورجعت به إلى مكة ،
فماتت في الطريق !

فهذا كله مما يؤيد أنها تحنّفت في حياتها .



◎ فصل

تساؤلات .. والإجابة عنها !

فإن قلت : كيف قررت أنها كانت مَوْحِدَةً في حياتها ، ومتَحَفَّةً ، وهذا الحديث في «أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له» . وقد في الحديث الآخر : أمي «مَعَ أُمَّكُمَا» يُؤذِنَانِ بخلاف ذلك ؟

وهَبِكَ^(١) أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء : بأنهما متقدمان في التاريخ ، وذلك متأخر ، فكان ناسخاً . فما تقول في هذا ؛ فإن الموت على التوحيد ينفي التعذيب أَلْبَتَّةَ ؟

قلت : أحسن ما تقرر به الجواب : أن يُقال :

إن قوله : «أمي مع أمكما» صدر قبل ان يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال ﷺ في تبع .

«لا أدري تبعاً أليناً كان أم لا»^(٢) ؟!

[أخرجه الحاكم وابن شاهين] من حديث أبي هريرة وقال ﷺ بعد أن أوحى إليه في شأنه :

«لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» .

[أخرجه ابن شاهين في النسخ والمسنوخ أيضاً] من حديث سهل بن سعد وابن عباس ، فكانه ﷺ أولاً لم يوح إليه في شأنها بشيء ، ولم يبلغه القول الذي قالته عند موتها ، ولا تذكَّره ؛ فإنه كان إذ ذاك ابنَ خمس سنين ، فأطلق القول «بأنها مع أمهما» جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد ذلك .

(١) هبك : هب أنك .. بوزن (دغ) بمعنى احسب ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل .
(٢) قال المسعودي : قيل للملوك اليمن تابعة ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام آخر . ولم يكونوا يسمون الملك منهم . يتبع حتى يملك اليمن والشَّخْر وحضر موت . ومن لم يكن له شيء من هذا يسمى ملكاً ولا يقال له تبع .. (لحمزة الأصفهاني) .

ما يؤيد ذلك :

ويؤيد ذلك في آخر الحديث نفسه «ما سألتها ربي» فهذا يدل على أنه لم يكن بعد قد وقعت بينه وبين ربه مراجعة في أمرها ثم وقع بعد ذلك .

هل يلزم من عدم الإذن في الاستغفار الكفر؟!

وأما حديث «عدم الإذن في الاستغفار» فلا يلزم منه الكفر ؛ بدليل أنه ﷺ كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دينٌ لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له ، وهو من المسلمين .

وعلل ذلك بان استغفاره مُجَابَّ على الفور ، فمن استغفر له وصل عقب دعائه إلى منزله الكريم في الجنة . والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقضى دينه .

كما ورد في الحديث «نفس المؤمن معلقةً بدينه حتى يُقضى عنه»^(١) فقد تكون أم النبي ﷺ مع كونها مُتَحَنِّفَةً كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة ، لأمر أخرى غير الكفر ، اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار إذ ذاك بسببها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك .

ويحتمل أن يُجَاب عن الحديثين :

بأنها سُنَّت مُوَحَّدَةٌ ، غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور ، وذلك أصل كبير ، فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع مافي شريعته؛ ولذلك تأخر إحيائها إلى حَجَّةِ الْوَدَاعِ حتى تمت الشريعة ونزل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(٢) فأخِيَّتْ حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى «نفيس بليغ» .

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن أبي هريرة رفعه . وقال المناوي : إسناده صحيح . وقال : المراد إن استدانه في فضول أو في مُحَرَّم . انظر صحيح الجامع حديث رقم ٦٦٥٥ .

(٢) المائدة : ٣

◎ فصل تأملات في أمهات الأنبياء

قد تأملت بالاستقراء ؛ فوجدت جميع أمهات الأنبياء مؤمنات ؛ فلا بدع أن تكون أمُّ النبي ﷺ كذلك .

وبيان ذلك يكون بالتفصيل ، وبالإجمال :

اليان :

أما التفصيل . فأم عيسى صلى الله عليه وسلم «مریم» صِدِيقَةٌ^(١) بنص القرآن ، بل ذهبت طائفة إلى أنها نبية ؛ لذكرها في سورة الأنبياء مقترنة بهم .

وأم إسحاق «سارة» مذكورة في^(٢) القرآن .

وقيل أيضاً : بنبتها ؛ لخطاب الملائكة لها .

وأم موسى وهارون مذكورة أيضاً في القرآن .

وقيل أيضاً : بنبتها لقوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾^(٣) وأم شيث

«حواء» أم البشر مذكورة في القرآن .

وقيل أيضاً بنبتها .

ووردت الأحاديث والآثار بإيمان «هاجر» أم «إسماعيل» ، وأم «يعقوب» وأمهمات أولاده ، وأم «داود» و «سليمان» و «زكريا» و «يحيى» و «شمويل» و «شمعون» و «ذى الكفل» .

ونص بعض المفسرين على إيمان «أم نوح» لقوله : ﴿رَبِّ اغفر لي

ولوالدي﴾^(٤) .

(١) ﴿وأمه صديقة﴾ (٧٥ : المائدة) .

(٢) جاء في القرآن ﴿وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق﴾ هود : ٧١ .

(٣) القصص : ٧ .

(٤) نوح : ٢٨ .

ذكر الكرماني في هذه الآية عن ابن عباس قال : لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم .

ثم حكى قولاً غريباً : أنهما كافران .

وجه الصواب فيما نقله الكرماني :

قلت : الصواب الأول . والأثر المذكور : أخرجه ابن سعد عن ابن عباس قال : « ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام » ونص جماعة على إيمان « أم إبراهيم » .

ورجّحه أبو حيان في البحر في تفسير سورة إبراهيم واسمها « نوبا » وقيل : « أيونا » حكاهما ابن سعد في الطبقات من بين ولد أرفخشذ بن سام بن نوح .

وأما الإجمال : فأخرج الحاكم في المستدرک ، وصححه عن ابن عباس قال : « كانت الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة : نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ومحمد عليه السلام » .

وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى فكفر به من كفر ، فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات ، ولم يبعث بعد عيسى أحد في الأشهر .

وأما العشرة : فقد ثبت إيمان أم إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وذكر إيمان أم نوح وإبراهيم ، وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل .

والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهم ، فثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع ، وكان السر في ذلك ما يرّيته من النور لما ورد في الحديث « وكذلك أمهات النبيين يرين » !!

◎ فصل

الدليل الثالث على أن أم النبي ﷺ ليست في النار

إحياؤها حتى آمنت :

قد عُرِفَ مما ذكرناه دليلاً على أن أم النبي ﷺ ليست في النار :
كونها متحنفة .

وإحياؤها حتى آمنت .

وينضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة . والأحاديث في أهل الفترة معروفة مشهورة ؛ وقال تعالى ﴿وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(١)
وقد أورد صاحب «مرآة الزمان» كلام جده «ابن الجوزي» على الحديث السابق ، ثم قال عقبه : وقال قوم : قد قال الله تعالى ﴿وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾

وقد أورد صاحب «مرآة الزمان» كلام جده ، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما !؟

◎ فصل

الدليل الرابع على أن أم النبي ﷺ ليست في النار

ودليل رابع : وهو ما ثبت في الصحيحين : «أن أبا لهب رأى في النوم فقال : لم ألقَ بعدكم خيراً ، غير أني سقيتُ في هذه بعناتني توبة» وتؤيِّد مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت ، أرضعت النبي ﷺ^(٢)

فإذا سقى أبو لهب في نقرة إبهامه ، وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبي ﷺ ، وشدة ما لقي منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظنك بمن حملته في بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وربته سنين وهي أمه !؟

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب النكاح باب يجرم من الرضاعة ما يجرم من النسب

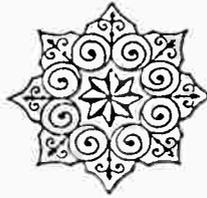
● فصل

الدليل الخامس على أن أم النبي ﷺ ليست في النار

ودليل خامس : قال ابن الجوزي : أُخْبِرْتُ عن أبي الحسين يحيى بن الحسين ، ابن إسماعيل العلوي أنا أبو عبيد الله محمد بن علي بن الحسين الحسنى ثنا زيد بن حاجب ثنا محمد بن عمار العطار ثنا علي بن محمد بن موسى الغطفاني ثنا محمد بن هارون العلوي ثنا محمد بن علي بن حمزة العباس ثنا أبي ثنا علي بن موسى بن جعفر ثنا أبي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه عن علي مرفوعاً «هبط جبريل عليّ فقال : إن الله يقرئك السلام ، ويقول : إني حرّمت النارَ على صلبٍ أنزلك ، وبطنٍ حمّلك ، وحجرٍ كفّلك . أما الصلب : فعبد الله ، وأما البطن : فآمنة ، وأما الحجر : فعمه يعني أبا طالب ، وفاطمة بنت أسد .»

قال ابن الجوزي : إسناده كما ترى ، وأبو الحسين العلوي رافضي غالٍ^(١) .

قلت : فاطمة بنت أسد آمنت ، وصحبت ، وهاجرت رضي الله عنها .



(١) رافضي غالٍ : الراضية فرقة من الشيعة تميز الطعن في الصحابة : سما بذلك لأن أوليهم رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشيخين (ج) روافض والغالي من الغلو وهو الإسراف في شططه وتطرفه .

القسم الثاني

التعظيم والمنة في أن أبوى النبي ﷺ في الجنة

- بيان الأدلة على أنه لا حكم قبل البعثة .
- رأى الإمام السيوطي فيما قاله النووي في أطفال المشركين .
- بين يدي الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [١٨ / فاطر] .
- مذهب أهل السنة فيمن مات قبل الدعوة .
- ما أورده الزركشي من أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً .
- تساؤلات حول حكم أهل الفترة ودفع ما وقع في شرح مسلم .
- ما ينبغي أن يفهم من شرح النووي في حديث السائل عن أبيه .
- رأى الإمام السيوطي في حديث : «إن أبي وأباك في النار» .
- أسئلة وإجابة عنها .
- موت والديه في سن الشباب وعلام يدل ؟
- تدليل على أن أبوى النبي ﷺ وأجداده كانوا على الحنيفية .
- ما قيل في الصديق يصلح دليلاً لنا في أبوى النبي ﷺ .
- من نص على إسلامه من أجداد النبي ﷺ وما يدل أن عبد المطلب كان على الحنيفية .
- بعض من تحف في الجاهلية وبيان حال العرب كما ذكره الشهرستاني ورأى الفخر الرازي .

◎ فصل في بيان الأدلة على أنه لا حكم قبل البعثة

العجب ممن يقطع بكون أبوى النبي ﷺ في النار اعتماداً على قوله : «أمى مع أمكما» وقوله ﷺ : «إن أبى وأباك في النار» ونحوهما من الأحاديث ! ويُلقى ما عارضها بالكلية .

وللمسألة نظير صحيح ، والناس فيها خلاف ذلك ، وهى :
مسألة أطفال المشركين .

فقد ورد في أحاديث كثيرة : أنهم في النار .
وفي أحاديث قليلة : أنهم في الجنة .
وصحح الجمهور هذا .

رأى النووي :

منهم : النووي^(١) . وقال : إنه المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون ؛ لقوله : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾^(٢) .

وإذا كان لا يُعَذَّب البالغ ؛ لكونه لم تبلغه الدعوة ؛ فغيره أولى .
هذا كلام النووي .

رأى غيره من العلماء :

وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة بأحاديث كونهم في الجنة ، ويوضح النسخ ما أخرجه «ابن عبد البر»^(٣) عن عائشة قالت : «سألتُ خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال : «هم من آبائهم» ثم سألته بعد ذلك

(١) النووي هو : يحيى بن شرف الحورائى ولد في «نوا» القرية الواقعة في منطقة حوران بسورية سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٣ م ودرس في دمشق ، وأقام بها زمناً ، وألف عشرات الكتب في الحديث والفقه والعلوم الإسلامية المختلفة منها : «رياض الصالحين» و «الأربعون حديثاً النووية» تولى بنوا سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م (الأعلام ٩ / ١٨٤) .

(٢) الإسراء : ١٥ .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد البر التميمى القرطبي صاحب كتاب «الاستيعاب» و «التهجد» و «جامع بيان العلم وفضله» تولى سنة ٤٦٣ . (شذرات الذهب ٣ / ٣١٤) .

فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» . ثم سأله بعد ما استحکم الإسلام ، فنزلت : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١) فقال : «هم على الفطرة» أو قال : «في الجنة» فهذا يدل على النسخ .

[١] رأى الإمام السيوطى بناء على ما قاله النووى وغيره فى أطفال المشركين : وكذا نقول فى الأحاديث التى وردت فى أن أبوى النبى ﷺ فى النار إنما منسوخة :

إما بإحيائهما وإيمانهما .

وإما بالوحى فى «أن أهل الفترة لا يعذبون» .

[٢] ومن جملة الأقوال فى الأطفال :

«أنهم فى مشيئة الله ؛ لا يُحكَم عليهم بشيء» .

وهذا هو المنقول عن الشافعى^(٢) والأئمة لحديث الصحيحين عن أنى هريرة «أن النبى ﷺ سئل عن أطفال المشركين فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة ، ومن علم منه الكفر ، لو عاش أدخله النار .

وكذا يقال فى أبوى النبى ﷺ ، والظن بهما أنهما لو عاشا إلى بعثته لبادرا إلى الإيمان مُسرِعَيْن فيكونان من أهل الجنة .

[٣] ومن جملة الأقوال فى الأطفال أيضاً :

أنهم يُمْتَحَنُونَ فى الآخرة ، فمن أطاع أُدْخِلَ الجنة ، ومن عصى أُدْخِلَ النار . وصححه البيهقى^(٣) .

(١) الأنعام : ١٦٤ . انظر الدر المنثور (١٦٨/٣) .

(٢) الشافعى هو محمد بن إدريس الهاشمى القرشى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد بغزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧م ، وحمل منها إلى مكة ، ثم زار بغداد ، ومصر ، وتوفى فى القاهرة سنة ٢٠٤ هـ / ٨٢٠م . كان أعلم الناس بالفقه والقراءات كما كان أشهر الناس وأدبهم ، وأذكارهم . له مؤلفات كثيرة منها : كتاب «الأم» ، فى الفقه : (الأعلام ٢٥٠/٦) . انظر البخارى كتاب الجنائز ، ومسلم كتاب القدر .

(٣) الإمام البيهقى هو احمد بن الحسين بن على . أبو بكر ، منسوب إلى بيتى ، وهى قرى بمجمعة بنواحي نيسابور ، على عشرين فرسخاً منها ، وللبيهقى كتب كثيرة قيل : إنها نحو الألف ، وأشهرها . كتب السنن الكبرى ، ودلائل النبوة . توفى البيهقى سنة ٤٥٨هـ . (الرسالة المستطرفة ٢٥ - ٢٦) .

وهذا بعينه : وردت به الأحاديث الصحيحة في أهل الفترة ، أخرج البزار^(١) ، وأبو يعلى^(٢) ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعنوه ، ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته ؛ فيقول الرب تعالى : لعنق من النار : ابرز . ويقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم . أدخلوا هذه . فيقول من كُتِبَ عليه الشقاء : يارب أتى نذُخُها ، ومنها كنا نَفِرُّ ؟! قال : ومن كتبت عليه السعادة ، يمضى فيقتحم فيها مسرعاً ، فيقول الله تعالى : أنعم لرُسُلِي أشدُّ تكديماً ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار .

وأخرج أحمد وابن راهويه في مسندهما والبيهقي في «كتاب الاعتقاد» ، وصححه ، عن الأسود بن سريع ، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «أربعة يحتاجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة» إلى أن قال^(٣) : «وأما الذي مات في الفترة ، فيقول رب ما أتاني لك رسول . فيأخذ موثيقهم لِيُطِيعُنَهُ ؛ ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه بَرْدًا وسلاماً ، ومن لم يدخلها يُسْحَبُ إليها .

وأخرج البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالهالك في الفترة ، والمعنوه ، والمولود» .

يقول الهالك في الفترة : «لم يأتني كتاب ولا رسول» .

ويقول المعنوه : أي رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً .

ويقول المولود : م أدرك العقل .

فُزِعَ ضم نار فيقال لهم : رُدُّوها — أو قال : ادخلوها — قال : فيردها من كان في

(٢) البزار : هو الحافظ الشهير أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ويكنى «أبا بكر» ، توفي سنة ٢٩٢هـ ، وله مسندان : كبير وصغير ويسمى الكبير : «البحر الزاخر» و«الكبير الممل» . وفيه يتكلم في تفرد بعض رواة الحديث ، ومتابعة غيره عليه . وانظر (الرسالة المستطرفة ٥١) .

(٣) أبو يعلى : هو القاضي الحافظ الخليل بن عبد الله القزويني المتوفى سنة ٤٤٦ هـ . له «الإرشاد في علماء البلاد» ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه ، ثم رتبته على الحروف ابن قطلوبغا (٨٧٩) (المستطرفة ٩٧) رواه أبو يعلى والبزار ونحوه أنظر مجمع الزوائد (٢١٦/٧) .

(٣) ذكر الحديث بطوله ابن كثير في تفسيره للآية الخامسة من سورة الإسراء . مسند أحمد ٤ : ٢٤

علم الله سعيداً أن لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً أن لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : « إياي عصيتم فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟ ! » وأخرج الزوار^(٣) عن ثوبان : أن النبي ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم ، فيقولون : ربنا لم ترسل لنا رسولاً ، ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً ، لكننا أطوع عبادك ! فيقول لهم ربهم : أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ »^(٤) وذكر نحو ما تقدم .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل « مثله » . وفي الباب أحاديث أخر وهذه الأحاديث هي العمدة في المسألة وكل ما شابهها ، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ، ومذاهبهم في : أنه لاحكم قبل البعثة ، وهي ناسخة لكل حديث خالفها ؛ فلا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه في النار بل هو في مشيئة الله موقوف على الإشخاص وقد صرح في حديث ثوبان بِحَرَيَانَ هذا الحكم في أهل الجاهلية عبدة الأوثان ، فمن لم تثبت عنه عبادة وثن من باب أولى .
وأبوا النبي ﷺ لم يثبت عن أهل الجاهلية ، أنهما من عبَادِ الأوثان . بل ولا ثبت ذلك عن أحد من أصوله ، بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه .

◎ فصل بين يدي الآية الكريمة

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾
ظهر لي « نكتة لطيفة » جداً في قوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وِزْرَ أخرى ﴾
وقوله : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

[الإسراء : ١٥]

(٣) رواه الزوار ، انظر مجمع الزوائد (٢١٦/٧)

(١) الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق في مسنده .

(٢) تمام الحديث في تفسير ابن كثير لسورة الإسراء . وكذا الحديث بتامه في الدر المنثور (٤/١٦٨)

حيث قرن بين هاتين الجملتين :

فإن الأولى : متعلقة بأطفال المشركين ؛ ولهذا اعتمدها النبي ﷺ حين نزلت ، وأخير بأنهم في الجنة ، بعد إخباره بأنهم في النار ، كما تقدم في حديث عائشة .
والثانية : متعلقة بأهل الفترة وهم والأطفال مشتركون في عدم التعذيب لأمرين :

أحدهما — عدم بلوغ الدعوة ، لعدم العقل المدرك بناء على .ه الآية .

وما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح قال : « إذا كان يوم القيامة جمع أهل الفترة ، والمعنوه ، والأصم ، والأبكم ، والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ، ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار .. فيقولون : كيف ولم تأتنا رسل ؟ قال : وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاما ، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ، ثم قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾^(*) »

[الإساءة ١٥]

إسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الراوى فله حكم الرفع .

وعلى الجملة الثانية من الحكم على أهل الفترة بأنهم يُمتَحَنُونَ في الآخرة ولا يبادرُونَ بالعذاب ، بعد إخباره بما يقتضى أنهم في النار ابتداء ؛ فكان الإخبار أن الأولاد في الفريقين على حد سواء أنهما في النار .

والنازل فيهما جملتان مقترنتان ، والإخبار ثانياً عنهما متحد أيضاً ، وهو أنهم لا يعدبون وقد صححه النووي والمحققون في الأطفال .

وذهب آخرون إلى أنهم يُمتَحَنُونَ^(١) ، وجزم به أهل السنة قاطبة في أهل الفترة ، فوجب انتفاء التعذيب عن أبوى النبي ﷺ ، وإنما جزم بالامتحان في أهل الفترة

(*) رواه ابن جرير في تفسيره (٤٠/١٥) وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٦٨/٤) .

(١) كما يقول ابن كثير في العرصات : فمن أطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ؛ ومن عصى دخل النار داخراً ، وانكشف علم الله فيهم بسابق الشقاوة . ثم قال ابن كثير : وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صُرِّحت به الأحاديث المتعاضدة الشاهدة بعضها لبعض . وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققى العلماء والحفاظ والنقاد . ا . ه .

وجرى في الأطفال ، وصُحِّحَ كونهم في الجنة ابتداءً لأجل مزيد البلوغ والعقل في أولئك .

ويدل لكون النبي ﷺ إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ، ورفع العذاب ابتداءً اعتماداً على رفعه عن جميع أجداده كما ستأتى الإشارة إليه .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث :

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السابق عنه ، وقوله «إن الإيمان بعد الموت لا ينفع» فإذا كان الإيمان ينفع في أهل الفترة في الآخرة التي ليست مدار تكليف ، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهم بالإحياء من الموت في الدنيا من باب أولى .

وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما في الدنيا ، فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة أن يطعيا ، ويهديهما الله لذلك ، ليقرَّ به عين النبي ﷺ .

﴿ فصل ﴾

في نقل مذهب أهل السنة : فيمن مات قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة : «شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة» .

قال الكيا الهراسي^(١) وغيره : المراد بشكر المنعم : امتثال الأوامر واجتناب

النواهي من الكفر وغيره .

قال السبكي^(٢) : في «رفع الحاجب» : وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة

(١) الكيا الهراسي : عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد الطبري الشافعي كان من أهل طبرستان ، وخرج إلى نيسابور ، وتفقه على :م الحرميين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع . تولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن تولى .

كان من رءوس معيدي إمام الحرميين في الدرس ، وكان ثالي أبي حامد الغزالي بل أصل وأصلح وأطيب في الصوت والنظر . وكانت ولادة الكيا في ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة . وتوفى يوم الخميس في وقت العصر مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد ، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . والكيا بكسر الكاف وفتح الباء في اللغة الأعجمية هو الكبير القدر المقدم بين الناس كما قال ابن خلكان في ترجمته .

(٢) السبكي : تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن سليم الأنصاري شيخ الإسلام . ولد بسبك من =

كابن سريج ، والصيرفي ، والقفال الكبير ، وابن أبي هريرة ، والقاضي أبو حامد .
وقد اعتذر القاضي أبو بكر الباقلاني في «التقريب» ، والأستاذ «أبو إسحاق» في
أصوله ، والشيخ «أبو محمد الجويني» في «شرح الرسالة» عمن وافق المعتزلة من
أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ في الكلام . وربما طالعوا كتب المعتزلة
فاستحسنوا هذه العبارة وهي : «شكر المنعم واجب عقلا» فذهبوا إليها غافلين عن
تشعبها عن أصول القدرية .

قال القاضي ، مع علمائنا : بأنهم «ما اتموا مسالكهم وما اتبعوا مقاصدهم» .
قال ابن السبكي : وهو كلامٌ حَقٌّ بالنسبة إلى من عدا القفال الكبير .
أما القفال : فكان إماماً في الكلام مقدما ، إلا أنه كان في أول أمره مُعْتَرِئاً ،
فقال هذه المقالة .

ثم لما رجع عن الاعتزال لايد أن يكون رجع عن ذلك .
قال ابن السبكي : وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة .
فعندنا يموت ناجياً ، ولا يقاتل حتى يُدعى إلى الإسلام ، وهو مضمون بالكفارة
والدية ، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح ؛ إذ ليس هو بمسلم . (انتهى
كلامه) .

وهو صريح في نجاته ، وأنه لا يدخل النار ، وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى
مُسْلِماً ، وهذا غير مسألتنا إن ثبت في شيء من الحديث إطلاق اسم الكفر على المحل
المتنازع فيه ، وأنا لا أثبتة كما سأشير إليه .

◎ فصل في شكر المنعم

أورد الزركشي في شرح «جمع الجوامع» لقاعدة : «أن شكر المنعم ليس بواجب
عقلا» ثلاثة أدلة من القرآن :

== أعمال المنوفية سنة ثلاث وثمانين وستائة وتفقه وأخذ الحديث والتفسير والقراءات والأخبار والمقول والنحو
والنصوف ، وانتهت إليه رئاسة العلم بمصر ، له من المصنفات « الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم » ، « ورفع
الشقاق في مسألة الطلاق » وغيرهما ، وله ، فضاوى في ثلاثة مجلدات جمعها ولده . تولى سنة ست وخمسين
وسبعائة . ==

قوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾^(٢) أى لم يأتهم الرسل والشرائع .
 وقوله تعالى : ﴿ولولا أن تُصيهم مُصيبةً بما قَدَمَتْ أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾^(٣) .

قلت أخرج ابن أبى حاتم^(٤) فى تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «المالك فى الفترة ، يقول : «رب لم يأتنى كتاب ، ولا رسول . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾^(٥) [إسناده حسن] .

ومن الآيات الواردة فى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ولو أنا أهلكتهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذُل ونعزى﴾^(٧) .

أخرج ابن أبى حاتم عند تفسير هذه الآية عن عطية العوفى قال : المالك فى الفترة يقول : «رب لم يأتنى كتاب ، ولا رسول» .

وقرأ هذه الآية : ﴿ولو أنا أهلكتهم بعداب من قبله لقالوا﴾ إلى آخر الآية .

وقوله تعالى : ﴿وهم يصنطرحون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾^(٨) !؟

(١) الإسرائ : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٣١ .

(٣) القصص : ٤٧ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمى الحنظلى الإمام ابن الإمام حافظ الرى وابن حافظها سمع من أبيه وروى عنه أبو الشيخ بن حيان وخلائق وكان مجرا فى العلوم ومعرفة الرجال . ومن تصانيفه : «التفسير المسند» ، و «كتاب المرح والتعديل» ، و «كتاب الرد على الجهمية» ، و «كتاب الزهد» ، و «كتاب الكنى» ، وكان من كبار الصالحين لم يعرف له ذنب قط ، ولا جهالة له طول عمره (طبقات المفسرين للسيوطى) .

(٥) القصص : ٤٧ . انظر الدر المنثور (١٣٠/٥) .

(٦) القصص : ٥٩ .

(٧) طه : ١٣٤ .

(٨) فاطر : ٣٧ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة^(١) في هذه الآية قال : احتج عليهم بالعمر ، والرُّسُل .

وقوله تعالى : ﴿رَسَلْنَا مَبشُرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢) وأخرج ابن جرير^(٣) ، وابن أبي حاتم عن السُّدِّي^(٤) في هذه الآية : « لئَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » .
قال : فيقولون : « ما أرسلت إلينا رسولا ! » .

◎ فصل في تساؤلات حول حكم أهل الفترة ! ودفع ما وقع في شرح مسلم

فإن قلت : كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة ، وحكم ما قبل البعثة ، وقد كانت شريعة موسى وعيسى إذ ذاك موجودة ؟!
قلت : دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها ، ولا مُكَلَّفِينَ باتباعها ، ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في « الفترة » صريحة ، ولم يعوَّل على ذلك .
ولو كان المراد بما قبل البعثة : أن لا يكون بعث رسول الله في الدنيا أصلا لاستحالة وجود ذلك ؛ إذ ما من فترة إلا قبلها نبي ، إلى آدم ، وهو أول الأنبياء ، وليس قبل آدم بشر .

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الأحمه عربي الأصل كان يسكن البصرة. روى عن بعض الصحابة والتابعين قال فيه سعيد بن المسيب : « ما رأيت عراقيا أحفظ من قتادة » وقد احتج به أصحاب الكتب الستة إلا أنه كان يخوض في القدر فمن ثم تخاض بعض العلماء الأخذ عنه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة (الإسراييليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة) .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) محمد بن جرير الطبري تفسيره من أجل التفاسير وأعظمها قدرا .

(٤) إسماعيل السُّدِّي له تفسير يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الأئمة مثل : النوري . وشعبة ويقول أبو شهبة إن أمثل التفاسير تفسير السُّدِّي .

والقرآن أيضا ناطق بذلك قال تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكٌ فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرْحَمُونَ . أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قَبْلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ (١) .

أخرج ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ (٢) عن مُجاهد في قوله : ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ . قال اليهود والنصارى : خاف أن تقوله قُرَيْش .

رأى الإمام السيوطي فيما وقع في شرح مسلم حول أهل الجاهلية :

وبهذا الفصل ندفع ما وقع في شرح مسلم في حديث : « إن أبا وأباك في النار » (٣) وقوله : « إن أهل الجاهلية لا يجزى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة ؛ لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء » .

كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم ، وذكر بقية الحديث في الامتحان . فهذا لا نعى في المسألة .

وبقية الأحاديث ناصة على الهالك في الفترة ، والفترة ما بين النبيين ، واشتهرت بما بين عيسى والنبي ﷺ .

وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم؟! الاستشهاد برأى الإمام الرافعي :

وقد قال « الرافعي » (٤) في « الديات » : وتبعه في « الروضة » : « من لم تبلغه دعوة

(١) الأنعام : ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) أبو الشيخ بن حيان حافظ أصبهان ومسنده زمانه كان حافظا ثباتا متقنا ، وكان مع سعة علمه ، وغزارة حفظه صالحا خيرا قائما لله صدوقا توفي سنة ٣٦٩ (تذكرة الحفاظ ٩٤٥٠٣) . [الدر المنثور ٣ : ٥٦]

(٣) الحديث رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رجلا قال : يا رسول الله ، أين أباي ؟ قال : « في النار » فلما قضى الرجل دعاه فقال : « إن أبا وأباك في النار » وقضى : ولما قضاه منصرفا .

(٤) الرافعي : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الإمام أبو القاسم إمام الدين الرافعي القزويني الشافعي صاحب « الشرح الكبير » كان أوحده عصره في العلوم الدينية ، أصولا وفروعا ، ومجتهد زمانه في المذهب ، وفريد وقته في التفسير ، كان له مجلس بقزوين للتفسير ولتسميع الحديث . صنف « شرحا لمسنده الشافعي ، و شرحا للوجيز » وآخر أوجز منه ، وكان زاهدا ، ورعا متواضعا .

نينا ، لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام فلو قُتل كان مضمونا قطعاً .

وكيف يضمن ؟

أما الكفارة : فيجب بلا تفصيل . ثم له ثلاثة أحوال :
أحدها : أن لا يكون بَلَّغَتْهُ دعوة نبي أصلاً ، فلا قصاص على الصحيح .
وأوجه القفال .

وقيل : يجب دية مجوسى ، أو مسلم ، وجهان : أصحهما : الأول .
الثانى : أن يكون متمسكا بدين لم يُبدل ولم يُبلِّغْ ما يخالفه ، فلا قصاص على الأصح . وهل يجب دية مسلم أو دية أهل ذلك الدين ؟ وجهان . أصحهما :
الثانى .

الثالث : أن يكون متمسكا بدين لحقه التبديل ، لكن لم يبلغه ما يخالفه ، فلا قصاص قطعاً . ويجب دية مجوسى فى الأصح . « انتهى » .

فجعل من أحوال من لم تبلغه الدعوة : من لم تبلغه دعوة نبي أصلاً . وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبياً أصلاً من لدن آدم ، وبعثة أنبياء الله ، ووقائعهم مع أممهم وإهلاكهم مشهورة ، ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاماً ، والطوفان الذى أغرق أهل الأرض جميعاً ، فلو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء لاستحال وجود من لم تبلغهم الدعوة ، ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها ، وصحتها ، ويحكم عليهم أجمعين بأنهم فى النار ، من غير امتحان . وفى هذا إلغاء ورَدَ للأحاديث الثانية الصحيحة .

مزيد بيان :

فإن قلت : لم يتضح لى هذا كل الاتضاح فزدنى بياناً لوجهه ؟
قلت : وجهه مجموع أمور :
طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل ؛ فإنه لم يبعث فى العرب نبي بعد إسماعيل .

وحدوث التغيير في دينهما ، وتمادى الزمان عليه ، وفقد من نقل شريعتهما على وجهها ، وتداول القرون قرناً بعد قرن فتمكن بذلك الكفر حتى نشأ قوم ، فلم يجدوا إلا ذاك ، ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه ، ولا وجدوا من يخبرهم به ، فهؤلاء لا يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة ؛ ولهذا استنكروا ما جاء به النبي ﷺ ، وتعجبوا منه ، ونسبوه إلى أنه أتى بدين مُحدِّث لا يُعرَف .

وقالوا : ﴿ إن هذا لشيء عَجَاب ﴾ ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ (١) .

وقالوا : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (٢) .

ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء على ما هي عليه ، لعرفوا أن دعوة النبي ﷺ من نَمَطِ دعوتهم .

ولهذا أسلَمَ كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق ، ولم يكن كفرهم إنكاراً للصانع والإلهية ، ولا ادَّعوا في الأصنام أنها تخلق وتدبر ، كما ادعى عمروذ^(٣) وقومه ، بل كانوا يعترفون لله بالإلهية ، وأنه الخالق المدبر ، كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله ﴾ (٤) .

وكانوا يزعمون في الأصنام أنها تشفع لهم عند الله .

كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ﴾ (٥) .

وكانوا يقولون في تلبيتهم : « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » كما قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (٦) فَعَرَفَ بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع ، وأن ذلك صادرٌ عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل ، وعدم بلوغه لهم على وجهه .

(١) ص : ٥ ، ٧ .

(٢) الزخرف : ٢٣ .

(٣) تحكى الآية رقم ٢٥٨ من سورة البقرة : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾ (. . الخ) قصة عمروذ الذي أراد أن ينازع الجليل في إزار العظمة ورداء الكبرياء ، فادعى الربوبية وهو أحد العبيد الضعفاء ولقد ناظره سيدنا إبراهيم فأفحمه ، ونهت الذي كفر .

(٤) الزخرف : ٨٧ .

(٥) الزمر : ٣ .

(٦) يوسف : ١٠٦ .

ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿يَأْهَأ الكتآب قء ءآء كم رسولنآ ببن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا مآءآنا من بشير ولا نذير فقد ءآء كم بشير ونذير﴾ (١) فإذا كان الله تعالى أعذر (٢) إلى أهل الكتآب بأن بعث إليهم رسوله بعد الفترة ، ببن لهم مآ بدله الأءبار (٣) وكنموه لئلا بحتءوا بقولهم : ﴿مآ ءآءنا من بشير ولا نذير﴾ هذا وه أهل كتآب عالمبن بشرعة موسى فى الءملة غير أنهم تمسكوا بمآ لءقه التبديل ؛ لكونهم قلءوا فيه أسلافهم و' يكونوا أهلاً لتمييز الءق من الباطل — مآ ظنك بالعرب الأمبن الذين ليسوا أهل كتآب ولا يدرون مآ الكتآب !؟

تنبيه

مآ ينبغى أن يفهم من قول النووى فى شرح مسلم لءءث السائل عن أبيه !

الذى عنءى : أنه لا ينبغى أن يفهم — من قول النووى فى شرح مسلم — فى ءءث : « أن رجلا قال : يارسول الله ، أين أبى ؟ قال : فى النار ، فلما قفى وءعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » .

فيه أن من مات فى الفترة على مآ كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤآءة قبل بلوغ الدعوة ؛ فإن هؤلاء كانت بلعنتهم ءعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء — أنه أراد بذلك الءكم على أبى النبى ﷺ .
بل ينبغى أن يفهم من أنه أراد الءكم على أبى السائل ، وكلامه ساكت عن الءكم على الأب الشريف .

(١) المآءة : ١٩ .

(٢) أعذر إليهم أى عءرهم ومهدهم قبول العءر بعث نبى إليهم لينقءهم وبءرءهم من الظلمات إلى النور .

(٣) ءمع ءبر وهو بفتح وكسر الءاء وءءءأءبار اليهود ورئس من رؤساء الدين « الءبر الأعظم » ءلف السيد المسيح . وكذا رئس الكهنة عند اليهود .

◎ فصل

في بيان ماوجه إلى حديث «إن أبي وأباك في النار» من حيث السند والمتن

ظهر لي في حديث «إن أبي وأباك في النار» عِلتان :

إحدهما : من حيث «الإسناد» وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق «حماد بن سلمة» عن «ثابت» عن «أنس» أن رجلاً قال : «يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قُفِيَ دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار» .

هذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري ، وفي أفراد مسلم أحاديث مُتَكَلِّم فيها ، ويوشك أن يكون هذا منها .

رأى أئمة الحديث في ثابت :

أما أولاً : «فثابت» — وإن كان إماماً ثقة — فقد ذكره ابن عدي في «كامله» في الضعفاء وقال : إنه وقع في أحاديثه نكرة ، وذلك من الرواة عنه ؛ فإنه رَوَى عنه ضَعْفَاء ، وأورده الذهبي في «الميزان»^(*) .

ورأيهم في حماد بن سلمة :

وأما ثانياً : فحماد بن سلمة وإن كان إماماً عالماً عابداً فقد تكلم جماعة في روايته ، وتنكب^(١) البخاري عنه ؛ فلم يُخرج له شيئاً في صحيحه .

وقال الحاكم في المدخل : ما خرج مسلم «لحماد بن سلمة» في الأصول إلا حديثه عن ثابت .

وقد خرج له في الشواهد عن طائفة .

وقال الذهبي : حماد ثقة له أوام ، وله مناكير كثيرة ، وكان لا يحفظ ؛ فكانوا يقولون : إنها دُسَّت في كتبه!^(*) .

(*) انظر الميزان (١/٣٦٢) .

(١) أعرض .

(*) انظر المرجع السابق (١/٥٩٠ - ٥٩٥) .

وقد قيل : إن ابن البرجا كان ربيبه ؛ فكان يدس في كتبه .
 ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس : « أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾^(١) قال : « أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل » .
 هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .
 وأورده ابن الجوزي في « الموضوعات » وقال : « إنه لا يثبت ، وأنه مما دسّه ربيبه عليه » .

والمناكير في رواية حماد كثيرة ، وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذي نحن في تعليقه .

وَمِنْ أَتَكَرَّرَ رَوَايَاتِهِ مَا رَوَاهُ عَنْ « قَتَادَةَ » عَنْ « عِكْرَمَةَ » عَنْ « ابْنِ عَبَّاسٍ » مَرْفُوعًا :
 « رَأَيْتُ رَبِي جَعَدًا أَمْرَدًا ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ »^(٢) وهذا أيضاً أورده في الموضوعات .
 فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا يدع أن يكون مُتَكَرَّرًا وقد وُصِفَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ
 بِأَنَّهَا مَنكَرَةٌ .

العلة الثانية : من حيث المتن : وهى مبنية على مقدمة ، وذلك « أن النبي ﷺ سأل رجل عن الساعة ، فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال : إن يستنفذ هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة » .

قال العلماء : كان الأعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشى ﷺ — من قوله لهم لا أعلمها فتنّتهم وشكّهم في نبوته . فأجابهم بجواب فيه تورية^(٣) .
 ومراده : إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم ، بأن يموتوا كلهم ، وقيام ساعة كل أحد موته .

رأى الإمام السيوطى في حديث « إن أبى وأباك في النار »

إذا عرف ذلك : فالذى عندي في هذا الحديث أن لفظه : « إن أبى وأباك في النار » ليست مروية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى ، فوهم في ذلك ، وإنما تكلم
 (١) الاعراف : ١٤٣ . والحديث في مسند أحمد (٣/١٢٥) . والترمذى كتاب التفسير (١١/١٩٣) والحاكم (٢/٥٧٧) .

(٢) أورده ابن الجوزى في العلل المتناهية (١/٣٦) .

(٣) يقال : ورى الشيء . أخفاه . والتورية إظهار شيء وإخفاء غيره أيضا فقد أظهر قيام ساعة كل منهم . أما قيام ساعة الجميع فعلمها عند ربنا يخفى على الجميع أمرها وليس المستول عنها بأعلم من السائل كما ورد في الأحاديث .

عن النبي ﷺ بكلام مروى ، ففهم منه السامع ذلك فقال : وقد وضع لنا ذلك من طرق أخرى .

أخرج البزار في « مسنده » ، والطبراني في المُعْجَم الكبير بسند رجاله رجال الصحيح عن « سعد بن أبي وقاص » أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار . قال : فأين ؟ قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار .

هذا حديث صحيح وفيه فوائد :

منها : بيان أن السائل كان أعرابياً وهو مظنة الفتنة والردة . ومنها : بيان أن الجواب فيه إيهام وتورية إذ لم يُصْرَح فيه بأن الأب الشريف في النار ، إنما قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » .

وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك ، إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن ، وهذا شأن « التورية والإيهامات » فكره ﷺ أن يُفْصِحَ له بحقيقة الحال ، ومخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده ؛ لما جُبِلَتْ عليه الأنفس من كراهة الاستئثار عليها ، ولَمَّا كانت عليه الأعراب من غِلْظِ القلوب ، والجفاء فأورد له جواباً . مُوهِّمًا يُطْمِئِنُّ القلب ، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الإلتقان .

ولهذا قال بعض الحفاظ : لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه ، يعني لا اختلاف الرواة في إسناده وألفاظه وقد أوقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط ، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ ، وبينها النقاد .

منها : حديث مسلم في « نفي قراءة البسملة » وقد أعلَّه الشافعي بذلك وقال : إن الثابت من طريق آخر نفي « سماعها » . ففهم منه الراوى نفي « قراءتها » ، فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ في أشياء أخر مبينة في كتب الحديث ، فبان بهذا تعليل الحديث ، من هذه الخبيثة ، ولا يكون ذلك قَدْحاً في صحة الحديث من أصله ، بل في هذه اللفظة فقط .

رأى الإمام السيوطي في حديث « أمي مع أمكما » :

وكذلك حديث « أمي مع أمكما » على ضعف إسناده ، لا يلزم منه كونها في النار ؛ لجواز أن يكون أراد بالمعنى كونها معها في « دار البرزخ » أو غير ذلك ، وعبر بذلك تورية وإيهاماً تطيباً لقلوبهما .

سؤال والإجابة عنه :

فإن قلت : قد قررت: أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم في النار حتى يمتحنوا ؛ فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على «أبي السائل» بأنه في النار ؟

قلت : ظهر لي على ذلك أربعة أجوبة :

الأول : أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة في أهل الفترة ؛ فيكون منسوخاً بها ، كما أخبر أولاً عن الأطفال المشركين بأنهم في النار ، ثم تُسَخَّ ذلك .

الثاني : أننا لم نقطع بعدم النار في أهل الفترة ، بل قلنا : يُمْتَحَنُونَ ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن لا ، دخل النار . فيمكن أن يكون النبي ﷺ أطلع في حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان ، فيدخل النار ، واوحى إليه بذلك ، فحكم بأنه من أهل النار .

الثالث : أنه يمكن في هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب ، أو الشام ، واجتمع بأهل الكتاب ، وبلغته دعوة موسى وعيسى ، وأصرَّ على الشرك فلم يُعَذَّر .

الرابع : أنه يمكن أن يكونَ عاشَ حتى أدركَ بعثة النبي ﷺ ، وبلغه ذلك ، وأصرَّ ومات في عهده ، وهذا لا عُذْرَ له البتَّة .

سؤال آخر والإجابة عنه :

فإن قلت : فأبوا النبي ﷺ قد دخلا يثرب ، واجتمعا باليهود ؛ فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث !

قلت : الجواب عنهما من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعواهما إلى الدين ، وهذا لم يُثقل ، فيحكم عليه خصوصاً أنهما لم يُقيما بالمدينة إلا أياماً قلائل لا تسع ذلك .

أما «عبد الله» فإنه مرَّ بها في سفره إلى الشام ، ورجع فدخلها وهو مريض ، فأقام بها شهراً مريضاً ، ومات .

وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعاً بأحد ، ولا سؤالاً عن دين !

وأما «آمنة» فقدِمَتْ المدينة زائرةً لأقاربها ، فأقامت بها أيضاً شهراً ، ومعها النبي ﷺ ، ورجعت فماتت بالطريق !

الثالث : أنا نقول : وأى مانع من أن يكونا دُعِيًّا إلى التدين ، فأجابا ، وإن لَمْ يُنْقَل
الأمران ؟!

وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد بُشِّرَا من أهل الكتاب والكُهَّان وغيرهم بُنُوَّة
ولدهما قبل ولادته ، وصدَّقا بذلك وسُرَّا به ، وُبَشِّرَتْ به أمُّه قبل ولادته ، وعند
ولادته ، وبعد ولادته ، وصدَّقت بذلك ، وفَرِحَتْ وقالت : الأبيات السابقة عند
موتها ؟!

وهل يُنسب إليهما الشُّرك وقد أُخْبِرَا عن ولدهما أنه يُبعث رسولاً عن الله
بالتوحيد ، وكسر الأصنام ، وصدَّقا بذلك ؟! وهل الإسلام شيء غير هذا
التصديق ؟!

الثالث : أنا ندَّعى أنهما كانا من أول أمرهما على «الحنيفية دين إبراهيم» وأنهما لم
يعبدا صنماً قطّ ، وسنقرر ذلك قريباً بأدلته .

تنبيه

موتهما في سن الشباب

من اللطائف في شأنهما : أنهما ماتا شابين ؛ فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة
عليهما ، كما قال تعالى : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ﴾^(١) ؟ قيل : هو
ستون سنة وقيل : أربعون سنة .

وفي الحديث : «لقد اعذر الله إلى أمرى» : أخره من العمر ستين سنة^(*) .
وفي الأثر : «لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين» وكان عُمر والد النبي ﷺ
حين توفى خمساً وعشرين سنة ، كما قال الواقدي . إنه أثبت الأفاويل في سنِّه ، وكان
عمر أمه حين توفيت (.....)^(٢)

(١) فاطر : ٣٧ .

(*) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٥/٢) .

(٢) فراغ بالأصل .

وقال السهيلي في «الروض» ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تسبوا إلیاس » فإنه كان مؤمناً وذكر أنه كان يسمع في صلته تلبية النبي ﷺ بالحج ! وأخرج الزبير بن بكار : « لا تسبوا مضر ، ولا ربيعة ، فإنهما كانا مؤمنين » . وقال ابن سعد في الطبقات : « أنا خالد بن خدش ثنا عبد الله بن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن خالد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم » . [انظر الطبقات ١ : ٥٨] .

وقال السهيلي في «الروض» : كان كعب بن لؤى أول من جمع يوم العروبة ، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم ، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ، ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه ، والإيمان به ، وينشد في هذا أياتا منها قوله :

ياليتني شاهد فحوى دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلانا
وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب «الأحكام» له . انتهى

قلت : أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره : وكان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة وستون سنة^(١) وقد سقت الخبر بلفظه في أول كتاب «المعجزات» .

﴿ فصل ﴾

فيما يدل على أن عبد المطلب كان على الحنيفة

أخرج ابن سعد عن ابن عباس أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل :
لاهم إن المرء يم — نع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليهم — ومحالم غدوا محالك^(٢)
وأورده جماعة بلفظ :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
هذا يدل على أنه كان على الحنيفة حيث تبرأ من الصليب وعابديه .

وفي طبقات ابن سعد : بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن : وكانت تحضن

(١) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٨٩ — ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد (٩٢/١) في الطبقات .

رسول الله ﷺ — «يَا بَرَكَةُ لَا تَغْفُلِي عَنِ ابْنِي ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَعَ غُلَامَانِ قَرِيبًا مِنْ السُّدْرَةِ وَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ : إِنَّ ابْنَ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .» [الطبقات ١ : ١١٨] .

﴿ فصل ﴾

في بعض من تحنف في الجاهلية

أخرج البزار والحاكم في المستدرک وصححه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «لَا تُسَبُّوا وَرَقَةَ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْجَتَيْنِ» [المستدرک ٢ : ٦٠٩] .

وأخرج البزار عن جابر قال : «سألنا رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل» فقلنا : يارسول الله ؛ إنه كان يستقبل القبلة ويقول : «دينى إبراهيم ، والهى إله إبراهيم . قال : «ذاك أمةٌ وحده ، يُحشَرُ بينى وبين يَدَى عيسى ابن مريم» .

وسألناه عن «ورقة بن نوفل» فقليل : يارسول الله ، كان يستقبل القبلة ، ويقول : «لهى إله زيد ، ودينى دينُ زيد . فقال : «رأيتهُ يمشى فى بُطْنَانِ الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ سُنْدُسٍ» . [انظر مجمع الزوائد ٩ : ٤١٥ — ٤١٦] .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل ، عن ابن عباس أن «قَسْرُ بْنُ سَاعِدَةَ» كان يخطب قومه فى سوق عكاظ فقال فى خطبته «سيعمكم حقٌ من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل من ولد لؤى بن غالب ، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ، ونعيم لا ينفذ ، فإن دعاكم فأجيبوه ، ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه» [دلائل النبوة حديث ٥٥]

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمى قال : «رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ، ورأيت أنها الباطل ، يعبدون الحجارة .. الحديث» [دلائل النبوة حديث ١٩٨] .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال : «لم يمت تُبَّعٌ حتى صدق بالنبي ﷺ ، لما كان يهود يثرب يُخبرونه» وقد تقدم حديث : «لانسبوا تبعاً ؛ فإنه كان قد أسلم» .

وأخرج الخرائطى فى الهواتف ، وابن عساکر فى تاريخه ، عن جامع بن حران ، أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق ، وبعث النبی ﷺ ، وأوصى بذلك ولده مالكا عند موته وقد سقت الخبر بتامه فى «المعجزات» .

◎ فصل

في الدليل على أن أبوي النبي ﷺ وأجداده إلى إبراهيم كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأصنام

أخرج ابن جرير في تفسيره ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(١) . قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن سفيان بن عُيينة أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام ؟ قال : لا . ألم تسمع قوله : ﴿ وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ !؟ .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾^(٢) قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ﷺ ناس على الفطرة يعبدون الله .

قلت : ويمكن أن يُحمل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾^(٣) .

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات ، والبزار ، والطبراني ، وأبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ . قال : « من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتكم نبياً » . ففسر « تقلبه في الساجدين » : بتقلبه في أصلاب الأنبياء .

ويمكن أن يُحمل على أعمم منهم وهم « المصلون » الذين لم يزالوا في ذرية إبراهيم .

ويوضحه أنه ليس في أجداد النبي ﷺ أنبياء بكثرة ، بل إسماعيل ، وإبراهيم ، ونوح ، وشيث ، وآدم ، وإدريس . في قول .

(١) إبراهيم : ٣٥ . وتفسير الآية رواه ابن جرير في تفسيره (١٥١/١٣) .

(٢) إبراهيم : ٤٠ . وأخرج ابن المنذر تفسير الآية كما في الدر المنثور (٨٦/٤) .

(٣) الشعراء : ٢١٩ : انظر مجمع الزوائد (٨٦/٧) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة حديث رقم ١٧ ، وابن سعد في الطبقات (٢٥/١) .

◎ فصل

فى ذكر دليل آخر

على أن آباءه صلى الله عليه وسلم وأجداده كانوا على الحنيفة

ومما يدل على ذلك أيضا قوله عليه السلام : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه ، أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »^(١) أخرجه مسلم من حديث وائلة .

فالحيرية ، والاصطفاء تُشعر بالإسلام . وطريقة أخرى فى الاستدلال :

أخرج الإمام أحمد فى الزهد والخلال فى « كرامات الأولياء » بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : « ما خلّت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض » .

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده .
وأخرج أحمد فى الزهد عن كعب قال : « لم يزل بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب » .

وأخرج الخلال فى « كرامات الأولياء » عن « زاذان » قال : « ما خلّت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا إلا يدفع الله بهم عن أهل الأرض » .

هذه الآثار ، مع أثر ابن جرير السابق : فى أنه ما زال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة ، يعبدون الله تدل على أن أجداد النبى صلى الله عليه وسلم كانت على الحنيفة دين إبراهيم وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ، والذين يدفع بهم غيرهم أو لا يكون أحد كذلك .

والثانى باطل ؛ لأنه خلاف الوارد من هذه الآثار الصحيحة ، والأول باطل أيضا ؛ لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم ؛ إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم .

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم (١) . والبرمدى كتاب المناقب (٩٤/١٣)

وهذا اللازم باطل لمخالفته لحديث البخارى المُصَدَّر به هذا الفصل ، وهو : « أنه بعث من خير قرون بنى آدم قرناً فقرّنا إلى القرن الذى كان فيه » .

فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ، ولا يكون كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم ، فتعين أن يكون مسلماً .

والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخارى .

وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس أن النبى ﷺ قال : « ما افترق الناسُ فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما ما خرجت من بين أبوى فلم يصينى شيء من أغهر الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا » [دلائل النبوة ١ : ١٧٤] .

وأخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلتق أبواى قط فى سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافياً مُهَدَّباً لا تشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما » [حديث ١٥]

وأخرج ابن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « خير العرب مُضَرُّ ، وخير مُضَرِّ بنو عبد منّاف ، وخير بنى عبد مناف بنو هاشم ، وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان مُنْذُ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما » .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة . وقد أوردتها فى أول « كتاب المعجزات » وأخرج ابن أبى عمير العدنى فى مسنده عن ابن عباس : « أن قريشا كانت نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يُسْبِحُ ذلك النور وتُسَبِّحُ الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ، ألقى ذلك النور فى صُلبه » .

قال رسول الله ﷺ : « فأهبطنى الله إلى الأرض فى صُلبِ آدم ، وجعلنى فى صُلبِ نوح ، وقذف بى فى صُلبِ إبراهيم ، ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الأصلاب الكريمة ، والأرحام الطاهرة ، حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط ! » .

وأخرج البيهقى فى الدلائل [١٧٦/١] و « الطبرانى » فى الأوسط ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : قال لى جبريل : « قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

قال الحافظ بن حجر في أماليه بعد أن أورد هذا الحديث : «لوائح الصحّة ظاهرة على صفحات هذا المتن» .

◎ فصل

ما قيل في الصّدّيق يصلح دليلاً لنا في أبوي النبي ﷺ

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة : «وأبو بكر مازال بعين الرضى منه»
فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام .

فقال بعضهم : إن الأشعري يقول : إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة .

وقال آخرون : بل أراد : أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه ؛ لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ، ويصير من خلاصة الأبرار .

قال الشيخ تقي الدين السبكي : لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك .

وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حقّ الصديق لم يحفظ عنه في حق غيره .
فالصواب أن يقال : إن الصديق لم يثبت عنه حالة كفر بالله ، فلعل حاله قبل البعث ، كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه ؛ فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة «انتهى» .

قلت : وهذا الذي قاله السبكي في الصديق نقوله : نحن في أبوي النبي ﷺ وأجداده ، مع أن الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل لهما التحنّف في الجاهلية ببركة النبي ﷺ فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودّانه كثيراً .

◎ « فصل

في من نُصَّ على إسلامه من أجداد النبي ﷺ صريحاً

أخرج «ابن حبيب» في تاريخه عن ابن عباس قال : «كان عدنان ، ومعدّ ، وربيعة ، ومُضَرّ ، وخزيمة ، وأسَد على مِلّة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير» .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في «الدلائل» من طريق الشعبي عن شيخ من جُهينة «أن عُمَيْرَ بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية، وصلى لله، وعاش حتى أدرك الإسلام». وسقت الخبر أيضا بنامه في «المعجزات».

وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات، عن غالب بن الحر قال: ذكرت قَسًا عند رسول الله ﷺ فقال: «رحم الله قَسًا! قيل: يا رسول الله، تَرَحَّمُ على قَسٍ؟» قال: نعم. إنه كان على دين إسماعيل بن إبراهيم.

◎ «فصل»

في بيان حال العرب كما ذكره الشهرستاني

قال الشهرستاني في الملل والنحل كانت العرب على قسمين: مُعَطَّلَةٌ، ومُحَصَّلَةٌ. فالْمُعَطَّلَةُ أصناف.

منهم من أنكر الخالق، والبعث، والإعادة وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿قال من يُخِى العظام وهي رميم﴾؟

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء، ونوع من العادة، وأنكر الرسل، وعبد الأصنام وزعم أنها شافعة له عند الله في الآخرة. وهم الدهماء من العرب إلا شير ذمة منهم.

أما المَحَصَّلَةُ: فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم: علم الأنساب، والتواريخ، والأديان، ويعدونه نوعا شريفا، خصوصا معرفة أنساب أجداد الرسول ﷺ، والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب إبراهيم إلى إسماعيل وتواصله في ذريته، إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب، وببركة ذلك النور ألهم التدرج في ذبح ولده، وليركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيا الأمور.

وببركته: قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه وفيه قال: وقد صعد أباقيس:

لا هم إن المرء يم — نع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليهم — ومحافهم عدوا محالك

وببركة ذلك النور: كان يقول في وصاياها: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوماً حتى ينتقم منه، ويصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تُصِبه عقوبة! فقيل لعبد

المطلب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإخسانه ، ويُعاقب فيها المسيء بإساءته .
ما يدل على إثباته المعاد :

ومما يدل على إثباته « المعاد » و « المبدأ » أنه كان يضرب . بالقداح على عبد الله ابنه ويقول : يارب أنت الملك المحمود ، وأنت ربي الملك المعيد ، من عندك الطارف والتليد .

ما يدل على معرفته بحالة الرسالة ، وشرف النبوة :

ومما يدل على معرفته بحالة الرسالة والنبوة ، وشرف النبوة : أن أهل مكة لما أصابهم مادل عليه ذلك الحديث . أمروا أبا طالب أن يحضر بالنبي ﷺ وهو صغير فاستسقى به وأفشى ذلك أبو طالب بقوله :

وأبيض يُتسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والنوع الثاني من العلم علم « الرؤيا »

والثالث علم « الأنواء » وهو علم الكهنة .

ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتنظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع ، فمن كان يعتقد الدين الحنيفي : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وعامر بن الظرب العدواني .

ومن كان قد حرم الخمر في الجاهلية : قيس بن عاصم التميمي ، وصفوان بن أمية الكنانتي ، وعفيف بن معدى كرب الكندي .

ومن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم : عد الطالحة بن الثعلب بن ديرة بن قضاة ، ومنهم زهير بن أبي سلمى وكان يمر بالعصاة وقد أورقت بعد يُيس فيقول : « لولا أن تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد يُيس سيحي العظام وهي رميم » .

ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته المشهورة :

يُؤخَّرُ فيوضع في كتابٍ فيُدخَرُ ليوم الحسابِ أو يُعجَلُ فيُنقَمُ

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده : « ادفنوا معي راحلتي ؛ حتى أحشر عليها ؛ فإن لم تفعلوا حُشِرْتُ على رجلي » .

وكانوا في الجاهلية يحرّمون أشياء نزل القرآن بتحريمها : ككنّاح الأمهات ، والبنات ، والخالات ، والعمات وكانوا يطوفون وَيَسْعَوْنَ وَيُلْبِثُونَ ، ويقفون المواقف كلّها ، ويُهدون الهدايا ، ويرمون الجِمار ، وَيُحَرِّمُونَ الأشهر الحُرْمَ ، ويفتسلون من الجنابة ، وَيُقَسِّلُونَ موتاهم ، ويكفنونهم .

وكانوا يداومون على طهارات الفِطْرة العشرة التي ابتلى بها إبراهيم ، ويوفون بالعقود ، وَيُكْرِمُونَ الضيف ، ويقطعون يد السارق ، وكان دين إبراهيم قائماً ، والتوحيد شائعاً في صدر العرب ، فلول من غيره ووضع عبادة الأصنام عرون لحي « هذا كله كلام الشهرستاني » .

وقال ابن الجوزي في « التلخيص » تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية : أبو بكر الصديق ، زيد بن عمرو بن نفيل ، عبد الله بن جحش ، عثمان بن الحويرث ، ورقة بن نوفل ، رباب بن البراء ، أسعد أبو كرب الحميري ، قس بن ساعدة الإيادي ، أبو قيس بن صرمة [رأيت بآخر نسخة المصنّف بغير خطه ما مثاله] .

﴿ فصل ﴾

في قول الفخر الرازي بأنهم كانوا على التوحيد

ثم رأيت الإمام الرازي فخر الدين جنح إلى ما جنحت إليه من أن آباء النبي ﷺ كانوا كلهم على التوحيد ، فقال في كتابه « أسرار التنزيل » ما نصه قيل : إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه :
منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً .

ويدل عليه وجوه .

منها قوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ [٢١٨ ،

٢١٩ / الشعراء]

قيل : معناه أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد ، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ، ما كان من الكافرين ، أقصى ما في الباب أن يُحمل قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ على وجوه أخرى .

وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينهما وجب حمل الآية على الكل ، ومتى صح ذلك ، ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان .

ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ما كانوا مشركين قوله عليه السلام : « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة / ٢٨] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا . « هذا كلام الإمام بحروفه » والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما
دائماً
أبداً



كلمة وفاء وإنصاف !!

تقول المصادر الأدبية والتاريخية :

إن الإمام السيوطي ألف مقامة سَمَاءًا :

« المقامة السُّنْدُوسِيَّة في النسبة المصطفوية »

وهي في الواقع « رسالة » « لامقامة » بالمعنى المفهوم من المقامات وموضوعها : التدليل على نجاة والدي النبي ﷺ من النار مع إيراد أقوال العلماء في إثبات ذلك ، وتزييف أقوال من خالفهم !

وقد ألف السيوطي نحو « ست رسائل » في هذا الموضوع . ولا حاجة بنا إلى أن نذكر غيرة السيوطي على النبي ﷺ ، وعلى آل بيته الأطهار ، ومبلغ شغفه بأن يكون أبواه الكريمان ناجيين من النار !

« وإن السيوطي لمولع بإثبات هذه النجاة للناس حُباً في المصطفى ﷺ ، ولم يكتب ذلك في رسالة واحدة ، وإنما في جملة رسائل ، طوراً بالقلم الأدبي ، وأنا بالأسلوب العلمي ليملك على القلوب أقطارها ، وعلى العقول أوطارها* .
رحم الله إمامنا ، وجزاه عن حبه لنبينا ﷺ خير الجزاء .

(*) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي .